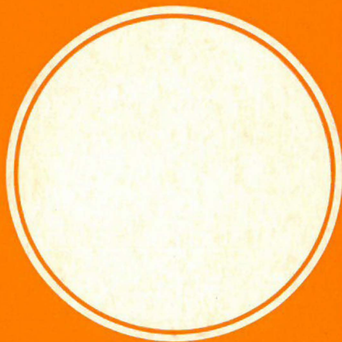
سالم الجسر

عملية ٥ حزيران



عملية ٥ حزيران

الى أخي عاصم الذي شجعني على المضي بالكتابة
يوم يئس من مهنة القلم .

مقدمة

عندما حلم الكاتب الفرنسي جول فرن بالوصول الى القمر سخر منه مواطنوه ، ثم رفعوه الى القمة عندما مشى أول رائد فضاء على سطح القمر . ان العالم الحديث يتطور بسرعة غريبة وكذلك احداث فلسطين . بعد نكسة ٥ حزيران١٩٦٧ وضرب الطيران العربي من قال ان الطيران العربي سيأخـــذ المبادرة بعد سنتـــين ويضرب اسرائيل ؟

لقد ظن الغرب أن وجود قاعدتين انكليزية واميركية في ليبيا هو ضمان للملكية ضد أي انقلاب اشتراكي ، وقد ثبت عكس ذلك باعلان الجمهورية . وهذا الكتاب الصغير يحكي قصة مغامرة عربية تحدث سنة ١٩٧٣ ، الاشخاص الذين تجري حوادث الكتـــاب حولهم قد يتوارون ويأتي غيرهم ، الا أن القضيـــة التي يتحدث الكتاب عنها أي تحرير فلسطين من الغزاة الصهاينة لن تتغير . سوف يظل هناك شعب يطالب بأرضه ويعمل المستحيل لاستعادتها ، وهذا الشعب هو محور القصة الخيالية . ثم من يدري كل شيء ممكن ، في هذا العصر الذي تحدى فيه الانسان الفضاء وغزا القمر وسيطر على الذرة .

ســـالم

كانت الطائرة الاميركية « ب ٥٢ » النفاثة ذات الرقم ٧٨٠ تقوم برحلتها العادية بين تركيا واسبانيا ، حاملة في بطنها ٦ قنابل هيدروجينية ، وهي على أتم استعداد ، حالما تتلقى الاشارة السرية من واشنطن ، لان تنقض على أهدافها في الاتحاد السوفيتي أو في احدى الدول الاشتراكية الداخلة ضمن معاهدة وارسو .

منذ أكثر من خمس عشرة سنة والولايات المتحدة تصرف الملايين من الدولارات للمحافظة على هذا السلاح الجبار الذي أطلقت عليه اسم « ستراتيجيك اير كومند » اي « قوة الردع الطائرة » . والذي طائراته أربعا وعشرين ساعة من أربع وعشرين تدور حول اهدافها ، وذلك خوفا من هجوم روسي نووي مفاجىء على الولايات المتحدة ، واصابة اهداف محطات اطلاق الصواريخ الاميركية دفعة واحدة .

رغم وقوع أكثر من حادث لمثل هذه الطائرات نذكر منها حادث أسبانيا وحادث غرونلندا اللذين تحدثت عنهما الصحف مطولا وفقدت خلالها قنابل نووية في البحر . فقد وقع اكثر من عشرة حوادث متشابهة لكن المخابرات الاميركية استطاعت طمسها .

كان الميجر جون بروس قائد طائرة ٧٨٠ يتصل بقاعدته مرة كل ربع ساعة ليطمئنها ان كل شيء يسير

على ما يرام . وقد تزود بالمحروقات فوق تركيا وهو الان في طريقه الى قاعدته في أسبانيا بعد عشر ساعات من الطيران الروتيني المتعب . طلب فنجان قهوة من مساعده الملازم دان سمث ليبعد شبح النوم عن عينيه ، بعد أن وضع اشارة القيادة الاوتوماتيكية وأخذ يمطط أعضاءه المتخدرة من الجلوس وهو يرشف على مهل القهوة التي قدمها له الملازم دان . ما كاد يأتي على اخر الفنجان حتى شعر بثقل كبير في جفونه ، وبتخدر في أعضائه ، وأخذ رأسه يميل على صدره . ألقى نظرة أخيرة على زميله دان وقال له :

ــ لعنك الله ايها الزنجي . . .

وراح في سبات عميق . أسرع دان بزيح الميجر بروس عن مقعده يقذفه خلف مقود القيادة ، ثم جلس مكانه وأزال القيادة الاوتوماتيكية ، وقطع الراديو ، وهبط بطائرته الجبارة من علو عشرين ألف قدم الى مئتي قدم فوق سطح الماء ، حتى يخرج من حقل الرادار الذي يتتبعه من مختلف القواعد الاميركية المنثورة على شواطىء البحر الابيض المتوسط . عندما أصبحت طائرة الملازم دان خارج حقل الرادار ، أخذ يدور ويدور في حلقات كبيرة فوق الماء ، بحثا عن الاشارة الضوئية المتفق عليها من يخت المليونير اللبناني خليل جبرا . كان الاتفاق ينص على ان ينتظر يخت المليونير خليل على بعد مئة ميل من جزيرة صقلية ، وعندما يسمع هدير الطائرة ، يطلق صاروخا أحمر ويتبعه بآخر أخضر . واذا شعر بالخطر يطلق صاروخا ثالثا أصفر .

منذ ربع ساعة والطائرة ب ٥٢ تطير على علو منخفض وتحرق الكيروسين بكمية كبيرة . ذلك أن الطيران المنخفض يلزمه مزيد من المحروقات وقد وصل عداد المحروقات الى النهاية ولم يبق فيه سوى ما يكفي لطيران مدته عشر دقائق وبعدها تهوي الطائرة في

البحر . راجع دان حساباته بسرعة انه يطير حول جزيرة صقلية ، وهذه هي أضواء المدن تمر بعيدة عنه ، انه لا يجرؤ على الاتصال لاسلكيا مع أحد ، وليس أمامه سوى دقائق معدودة للطيران . لقد اجتاز نهر « الروبيكون » كما يقول الفرنسيون اي انه لم يعد قادرا على العودة الى قاعدته وهناك شاهد على خيانته نائم خلفه . ثم ماذا يخسر في العملية ؟ ليس له أهل في الولايات المتحدة ، وقد توفي والده وأمه ، وشقيقه قتل في الفيتنام ، وهو زنجي مجبر على خدمة البيض الذين يحتقرون لونه الاسود . لقد حاول منذ صغره ان يبعد عن تفكيره انه يختلف عن غيره من سكان الولايات المتحدة ، الا ان الحقيقة المرة كانت تصدمه كل مرة ، اذا دخل مطعما يملكه أبيض ، لا يخدمه أحد الا مرغما ولا يحق له مغازلة بيضاء زميلة له في المدرسة . لقد ضربوه أكثر من مرة في الجامعة لانه نظر الى فتاة بيضاء بشيء من الاعجاب . كل هذه الاشياء الصغيرة تراكمت مع الايام في رأس دان ، فجعلته يكره فعلا الاميركي البشع المتكبر والمتعجرف ، فالتحق بعد تخرجه بالطيران اثناء خدمته الاجبارية في الجيش ، وكانت هذه اخر رحلة له ، قبل عودته الى الحياة المدنية .

قرر دان أن يوسع حلقات دورانه حول الجزيرة ، فقد يكون اليخت بانتظاره في مكان أبعد من المكان المتفق عليه . وبالفعل ما كاد يبتعد عن الجزيرة حتى شاهد الاشارة المتفق عليها : صاروخ أحمر ، تبعه صاروخ أخضر .

أشعل هو بدوره أضواء طائرته الكاشفة مرتين ، ردا على الاشارة . عندها أضيئت جميع أنوار اليخت دفعة واحدة . واستعد دان للهبوط .

لم تكن العملية سهلة ، فالهبوط الاضطراري على الماء ، بطائرة تزن الوف الاطنان يعد مجازفة كبيرة الا ان

علامة فراغ الخزانات من الوقود انبأت دان أن أمامه خمس دقائق قبل أن تغوص طائرته بالماء ، خمس دقائق على الجميع ان يستغلوها بسرعة وبدقة متناهية ، لانقاذ القنابل الذرية التي في الطائرة .

تمكن دان مع اخر نقطة من الوقود ان يهبط على بعد مئتي متر من اليخت بين أعمدة من الماء والدخان نتيجة احتكاك محركات الطائرة الحارة بالماء البارد . فأسرعت خمسة زوارق كانت حول اليخت نحو الطائرة وعليها مجموعة من كومندوس « فتح » يلبسون ثياب الغطس السوداء . كان أول عمل قاموا به ، هو ربط عشرة بالونات كبيرة بأطراف الطائرة وأجنحتها ثم نفخها بالغاز ، تماما كما يفعل الغطاسون الاميركيون عندما تهبط مركبة رواد الفضاء في البحر ، ليمنعوا الكبسولة من الغرق .

عندما تأكد للكومندوس ان الطائرة لـــن تغرق بسرعة ، صعدوا اليها ، ففتح لهم باب القيادة الملازم دان ، وعانق أول من صادفه . بعدها بدأ العمل بسرعة باشراف الملازم دان ، الذي كان يأمر كل فرد ان يفعل ما يطلبه منه بدقة وسرعة ، ففكت القنابل الذرية المعلقة داخل الطائرة وأجزاء الكبسولة التي تشعـــل القنبلة وأخرجت جميعها بسرعة من الطائرة .

عندما ابتعد اخر زورق عن الطائرة وعليه الملازم دان ، سمع انفجار كبير وسرعان ما ابتلع البحر الطائرة وعلى متنها الميجر بروس .

لم تستغرق العملية كلها أكثر من ربع ســـاعة . وفور انتهائها ابتعد اليخت عن موقع الحادث ، متجها نحو مرفأ طرابلس في لبنان .

كان الملازم دان واسمه الحقيقي أحمد سمث ، بعد التحاقه بجماعة « القوة السوداء » فـــي نيويورك قد التحق بجماعة « الاسلام السود » مثل محمد علي كلاي

بطل العالم ، وهذه الجماعة تضم حاليا أكثر من مليون زنجي في الولايات المتحدة . وقد مدت يد التعاون الى منظمة « فتح » التي تعمل في سبيل الهدف نفسه ، أي التحرر من نير الاميركي البشع .

أيقظ رئيس المخابرات الاميركية ريتشارد هيلمز الرئيس نيكسون من نومه وأبلغه اختفاء الطائرة ٧٨٠ فوق البحر المتوسط وهي تحمل ٦ قنابل هيدروجينية . فأجاز له الرئيس الاميركي استخدام الاسطول الاميركي السادس في البحر الابيض المتوسط في البحث عن الطائرة ، كما طلب من جميع القوات البحرية والبرية والجوية ، مساعدة المخابرات في عملية البحث التي أطلقوا عليها اسم « الكلب الجائع » حتى لا يتسرب خبر ضياع الطائرة وتستغل الصحف العالمية الحادث لمهاجمة الولايات المتحدة . لم يكن ليخطر على بال أحد ان الطائرة قد خطفت لانه من غير المعقول ان تصل يد « فتح » الى طائرات « ستراتيجيك اير كومند » . كذلك لم تعلن فتح عن خطف الطائرة ، قبل ان تنفذ خطة « ٥ حزيران » التي تعد لها منذ ثلاث سنوات .

عندما أعلن الملك فيصل « الجهاد المقدس » سنة ١٩٦٩ بعد احراق الجامع الاقصى في القدس ، واجتماع مؤتمر القمة الرباعي لبلاد المواجهة مع اسرائيل في القاهرة ، تتابعت الاحداث في المنطقة غير أن الحرب الفعلية لم تعلن ، بينما حرب الاستنزاف التي أعلن عنها الرئيس عبد الناصر ، فقدت من رونقها ولم تعد تلهب حوادثها قلوب العرب ، كما انها لم تعط ثمارها ، بفضل مساندة الولايات المتحدة لاسرائيل بدون حساب . فقد عوضت الولايات المتحدة جميع خسائر اسرائيل من طائرات الفانتوم واعطتها اكثر من مئتي طائرة سكايهوك وغيرها من الاسلحة الحديثة من دبابات ومعدات رادار وصواريخ ، فكانت اسرائيل تكبر عسكريا كلما قويت الدول العربية .

صحيح ان انقلاب ليبيا اعطى الدول العربية مساعدات كبيرة من أموال وأسلحة ، وان تونس أرسلت جنودها للتمركز على الحدود اللبنانية مع اخوانهم العراقيين والسعوديين لكن المؤتمر الاسلامي العالمي الذي انعقد في الرباط لم يعط ثماره المنتظرة ، اذ اكتفت البلدان الاسلامية غير العربية ، بتأييد حق العرب في فلسطين والاحتجاج لدى الامم المتحدة على عدم تنفيذ قراراتها . وذلك لأن الدولتين الاسلاميتين الوحيدتين

اللتين كان بأمكانهما الضغط على اسرائيل عسكريا ، أعني تركيا و ايران ، لم يعل لهما صوت في المؤتمر ، بينما اكتفت باكستان وماليزيا واندونيسيا بارسال متطوعين ، تمركزوا على الحدود الفلسطينية ، يساندون او بالاحرى يحمون ظهور الفدائيين الذين يتساقط منهم يوميا العشرات في سبيل أرضهم المغتصبة .

في نيويورك دعا الدكتور جواشيم برنس الحاخام الاكبر ورئيس رابطة يهود الولايات المتحدة الى مؤتمر عالمي لانقاذ اسرائيل . فاجتمع زعماء العدو في مدينة شيكاغو سنة ١٩٧٠ ، وألقى الدكتور برنس خطابا حث نيه يهود العالم على نصرة اسرائيل المحاطة بالاعداء ، كما ان المؤتمر أرسل وفدا برئاسة الدكتور ويليم وكسلر رئيس جمعية « بني بريت » الشهيرة لمقابلة الرئيس نيكسون وأخذ تعهدا خطيا بحماية اسرائيل اذا كان يريد ان يجدد له سنة ١٩٧٢ . وقد حصل ويليم وكسلر على التعهد الخطي كما حصل أيضا من الرئيس نيكسون على السماح ليهود الولايات المتحدة بأن يمضوا فترة خدمتهم العسكرية في اسرائيل . ومن جهة ثانية سمحت رومانيا لرعاياها اليهود بالهجرة الى اسرائيل . فعوضت هذه بذلك ما كانت تخسره من قتلى يوميا على مختلف الجبهات .

هذه النظرة السريعة الى واقع الحال سنة ١٩٧٣ ، تضع العالم العربي أمام واقع مرير ، ليس بامكانه ان يتخلص منه بسهولة . الولايات المتحدة تساند اسرائيل بكل قواها وقد هددت بالسلاح الذري كل بلد عربي يهاجم اسرائيل بجيوشه النظامية كما ان روسيا المهددة من قبل الصين التي تملك صواريخ نووية ، لم تعد تجرؤ على الحرب على جبهتين فاكتفت بتأييد العرب معنويا وماديا ، بارسال المزيد من الطائرات والدبابات . وقد كتبت مجلة « الساندي تايمس » افتتاحية جاء فيها :

« ان الشرق الاوسط أصبح يملك من قوة النار المركزة على جبهة واحدة ما كانت تملكه جميع القوى المتحاربة سنة ١٩٤٥ على الجبهة الالمانية ، لكن رغم هذا التسلح الجبار لن يجرؤ على اشعال فتيل الحرب لان النزاع سيشمل العالم بأسره .

اسرائيل ما تزال على حدودها التي احتلتها بعد حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ ، وقد حصنتها تحصينا قويا .

البلاد العربية أصبحت قادرة على مهاجمة اسرائيل ودحرها ، لكنها لا تجرؤ على القيام بالهجوم خوفا من التهديد الاميركي .

فتح أصبحت القوة الوحيـــدة في البلاد العربية القادرة على الهجوم ، لكنها لا تستطيع رغم قوتهـــا العسكرية التي بلغت مئتي ألف فدائي ، الهجوم العلني لافتقارها الى سلاح الطيران والسلاح الثقيل من مدرعات وغيرها . وكانت قد وحدت قواها سنة ١٩٧١ ، وكبر أشبالها وتحلوا بروح معنوية ممتازة .

حرب الاستنزاف التي أعلنت سنة ١٩٦٩ ، كانت تستنزف زهرة الشباب الفلسطيني يوميا . عمليات خطف الطائرات ونسف الانابيب وغيرها من العمليات الجريئة لم تعد تحصى مذكرة العالم بأن هناك شعبا ما يزال يطالب بحقوقه ، فتوقفت خطوط العال نهائيا عن العمل بعد نسف الطائرات في المطارات الاوروبية وحتى اثناء تحليقها في الفضاء .

وكما يقولون ، لكل ميدالية قفا ، فقد بدأ التذمر يدب في الجيوش العربية من حالة الركود . فانصار الجهاد المقدس أخذوا يعودون الى ديارهم بعد أن سئموا هذه الحرب الهادئة ، فلاحت في الافق فكرة الحـــل السلمي من جديد ، وبـــدأت العواصم الغربية تلقـــي شباكها حول الزعماء العرب ليقبلوا بالحل السلمي مع بعض التعديل لمصلحة اسرائيل طبعا . فقدم اللورد

طمسون الانكليزي حلا جديدا يتضمن عشرة بنود هي البنود نفسها تقريبا التي رفضتها اسرائيل سنة ١٩٦٨ . في لبنان الذي تحول الى اردن جديد بعد دخول الجيوش العربية اليه رحب المسؤولون بالحل السلمي ، فتبعتهم السعودية ، ثم الاردن ، فمصر الخ . . . فشعر الشعب الفلسطيني بأنه سيكون الضحية هذه المرة ايضا ، لهذا قررت فتح في اجتماع سري لهـــا في بيروت ان تطلع الزعماء العرب على عملية « ٥ حزيران » التي خططت لها منذ سنتين .

اعتاد ميكل جون ان يستيقظ على صوت اذاعة آلان. بي. سي. في السابعة صباحا فيستمع الى نشرة الاخبار العالمية ، وهو في سريره يحلق ذقنه بالآلة الكهربائية ، قبل ان يرتدي ثيابه ويذهب الى عمله في الشارع الخامس في نيويورك . صباح ذلك اليوم كان يستمع الى أخبار الفيتنام ، وفجأة قطعت النشرة ، ثم سمع صوت نسائي يقول :

ــ هنا صوت « فتح » يحدثكم من نيويورك . ليس امامي وقت طويل لاشرح لكم مطولا قصة خطف الطائرة ٧٨. منذ ستة أشهر ، هذا الحادث الذي اخفاه عنكم حكامكم ، الا انني اعلمكم ان نيويورك ، شيكاغو ، واشنطن ، لوس انجلوس وديترويت مهددة بالفناء بين لحظة واخرى اذا لم يسحب الرئيس نيكسون تهديده بتدمير البلاد العربية ... اكرر ... الموت لاعداء الامة العربية ... الموت لمدن الولايات المتحدة ، هنا صوت فتح ...

لم تكمل المذيعة نشرتها ، فقد سمع صوت طلقات نارية ثم قطعت الاذاعة ...

لم يصدق ميكل جون اذنيه هذا غير معقول ، من هي منظمة فتح لتصل الى نيويورك ، لقد تذكر البرنامج الذي قدمه المخرج والممثل اورسن ويلز سنة ١٩٤٦

والذي قطع به نشرة الاخبار ، ليعلن عن غزو الارض من قبل سكان المريخ ... ضحك ميكل في عبه وقام الى الحمام ، لكنه عندما سمع صوت المذيع يعلن :

ــ نأسف لما حدث منذ لحظات ، فقد دخلت فتاة سمراء ، برفقة شاب فلسطيني غرفة المذيع وتحت تهديد الرشاشات اذاعا خبرا كاذبا ، لقد سيطر البوليس على المشاغبين بعد معركة قصيرة ، جرح خلالها شرطي وقتل الشاب الفلسطيني . وقد استلم القضاء التحقيق ، وسوف نعلمكم بتفاصيل الحادث في نشرات لاحقة .

اذا لم يكن هذا البرنامج من نوع برنامج اورسن ويلز . ارتدى ميكل جون ثيابه على عجل وتوجه الى عمله. وكان الخبر قد سبقه الى الشارع ، فشاهد تجمهر الناس في الزوايا ، وهم يتحدثون عما سمعوه ، كان البعض يقول : هراء .. غير معقول أن تهدد منظمة مدن الولايات المتحدة بالدمار ، من أين لهم القنابل الذرية ثم كيف يوصلونها الى المدن ونحن عندنا دفاع ضد الصواريخ كلفنا مليارات الدولارات . وكان البعض الاخر ينتقد الروس لانهم اعطوا العرب الصواريخ العابرة للقارات، لان الولايات المتحدة سوف تهدد روسيا بدورها . وذهب فريق الى حد القول انه ينبغي للولايات المتحدة الا تتدخل لحماية اليهود وتجلب لنفسها عداء خمسمئة مليون مسلم من أجل ارضاء ١٢ مليون يهودي ...

دب الذعر في قلوب البعض ، فغادروا المدن الكبرى الى الضواحي أو الى المناطق البعيدة وهم يقولون : قليل من الوقاية خير من قنطار علاج .

في الساعة العاشرة ، صدرت صحف نيويورك تحمل خبر تهديد المدن الاميركية تحت عناوين كبيرة ، مع صورة للفتاة الفلسطينية سعاد بنجو وزميلها القتيل هاشم الغورو ، وقالت الصحف ان البوليس يحقق في القضية وقد منع الاتصال بالفدائية .

ثم صدرت صحيفة تحمل خبر سقوط طائرة ب ٥٢ منذ سته أشهر في البحر المتوسط وفقدان الطائرة وست قنابل هيدروجينية كانت فيها وربطت الصحيفة بين تهديد ٦ مدن اميركية وفقدان القنابل ثم قالت : « ترى هل يكون الفدائيون قد خطفوا الطائرة مثلما حدث لطائرة الخطوط الجوية العالمية التي نسفت في دمشق بعد خطفها ، ثم ادخلوا هذه القنابل الى المدن الاميركية دون ان يشعر بها احد ؟ » . . .

كان لهذا التحليل وقع الصاعقة على الشعب الاميركي ، الذي هاج وماج وتوقف عن العمل بانتظار التطمينات تصدرها السلطه . ووضعت الاذاعات الخاصة والتلفزيون ايديها على الموضوع ، واصبح حديث الساعة ، ولم يعد يسع الرئيس نكسون ، خصوصا حيال ضغط مجلس الشيوخ وحكام الولايات ، الا ان يتحدث الى الشعب . وقد حدد الساعة الثامنة لذلك .

وكما حدث سنة ١٩٦٩ لدى غزو القمر من قبل رواد ابولو ١١ ، كان جميع سكان الولايات المتحدة بدون استثناء أمام اجهزة التلفزيون والراديو ، ينتظرون حديث الرئيس نكسون ، كما ان صحف العالم والاذاعات ارسلت مندوبيها الى الولايات المتحدة لتغطية أخبار الحدث الضخم . . . الحدث الذي يتوقف عليه مصير الامم الديموقراطية ، لانه اذا دمرت المدن الاميركية فهذا يعني سيطرة روسيا نهائيا على العالم .

قبل الحديث اعلن المذيع ان هناك أكثر من عشرة حوادث انتحار وقعت في مختلف المدن الاميركية المهددة ، كما ان هناك أكثر من ألف قتيل من جراء حوادث السير ، وان عشرات الوف السكان غادروا مدنهم دفعة واحدة .

في تمام الثامنة وبعد اعلان عن الكوكاكولا ، ظهر الرئيس نكسون على الشاشة الصغيرة بشعره الابيض وكان التعب ظاهرا على تقاطيع وجهه ، فلم يضحك أو

ينكت جريا على عادته بل بدأ حديثه قائلا :
« سيداتي آنساتي سادتي ، كل أمة كبيرة لا بد أن تتعرض للخطر وقد حاولت منذ ان تسلمت الحكم من سلفي جونسون الذي ربطني بأحلاف دولية وتعهدات شتى ، ان احافظ على هذا البلد الكبير ، وادفع عجلة الازدهار ، وتمكنت حتى الان من انجاز أكثر من مشروع ، كما انني حافظت للشعب الاميركي على مستوى العيش الرفيع ولم اعرض الدولار لخطر التخفيض . كما انني حافظت على التفوق الاميركي العسكري في العالم . ووقعت اتفاقية عدم أستعمال الاسلحة الجرثومية مع الاتحاد السوفياتي ، كما انني تمكنت من ايجاد حل لقضية فيتنام دون ان امرغ وجه الولايات المتحدة بالتراب . لقد وصلنا الى القمر ونحن نستعد لغزو المريخ ، المهم هو ان جميع القضايا العالمية وجدت لها حلولا ، باستثناء القضية الفلسطينية . عبثا حاولت ان اقنع القادة العرب بالحل السلمي ، فكانوا كلما قبل واحد منهم ، اطاحوا به ، لست افهم عقلية هذا الشعب العربي ، كما انني لا استطيع انسانيا ودوليا ان اتخلى عن اسرائيل ، فكنت احاول كل مرة تتعرض فيها اسرائيل للخطر ان اقلب ميزان القوى لمصلحتها ، وقد كلفنا هذا الشيء الكثير خلال السنوات الماضية ، وكنت اظن ان القضية قد تحل مع الزمن ، الا ان الحقد العربي وخصوصا الفلسطيني كان يزداد سنة بعد سنة . وها قد وصل الانتقام الى الولايات المتحدة .
الكل يذكر قضية الشاب سرحان الذي اغتال السناتور كندي ، ومحاولة القتل التي تعرضت لها شخصيا في العام الماضي . فقضية اليوم تختلف عن حالات الاغتيالات الفردية ، انهم يريدون اغتيال الملايين منكم دفعة واحدة . لقد اكتشف مكتب المخابرات الطائرة المفقودة ٧٨ ، قرب جزيرة صقلية ، وكل الدلائل تشير

الى انها قد اختطفت من قبل الملازم الاسود دان سمث بعد ان قتل زميله . وقد حاولنا ان نخفي عن العالم الخبر حتى لا يدب الذعر الى قلوبكم ، وعملنا جهدنا للعثور على القنابل قبل ان تقع بايدي الاعداء الا اننا فشلنا . لقد اتصلت اليوم بواسطة التلفون الاحمر مع موسكو لاعرف اذا كان لهم ضلع في القضية ، فأكدوا العكس وعرضوا مساعدتنا التي رفضتها طبعا .

والان يمكن تلخيص الموضوع كالآتي :

ـ هل ادخل الفدائيون القنابل الهيدروجينية الى الولايات المتحدة ام انهم يبلفون ؟

ـ في حال وجود خطر يهدد مدننا ، هل نتخلى عن تعهدنا لاسرائيل ام نضحي بأرواحنا للتدليل على اننا نحترم تعهداتنا ؟

وختم الرئيس نكسون خطابه معلنا انه سيدرس الامر مع مساعديه ، وقال انه جند جميع رجال المخابرات السرية والشرطة للبحث عن القنابل في المدن الاميركية مشيرا الى ان السلطة اعتقلت أكثر من مئة ألف شخص من أصل عربي للتحقيق معهم .

١ حزيران

في ١ حزيران ١٩٧٣ وصل الى القاهرة رئيس المجلس التنفيذي للمنظمات الفلسطينية السيد ياسر عرفات وطلب مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر . فاجتمع به ناصر في قصر القبة بحضور رئيس أركان الجبهه الافريقية محمد فوزي ، وكانت الوحدة قد تمت منذ سنة بين مصر والسودان وليبيا والجزائر وتونس ، وتم الاتفاق على ان يتولى الرئيس عبد الناصر رئاسة الوحدة العربية ــ الافريقية الى ان تنتهي قضية فلسطين ، وعندها تصبح الرئاسة دورية ، فتتولاها كل سنة دولة من دول الوحدة . كذلك فعلت دول الجبهة الشرقية ، فقد تمت الوحدة بين سوريا والعراق والاردن ولبنان واليمن برئاسة الدكتور نور الدين الاتاسي ، على ان تتبدل الرئاسة كل سنة ، ولم تدخل فلسطين الحلف الشرقي لاسباب سياسية وحربية معا . فقد كان الفدائيون يحاربون فعلا الجيش الاسرائيلي دون ان تتمكن الولايات المتحدة من ردعهم بحجة ان ليس لهم بلد أو دولة .

دخل ياسر عرفات قاعة الاجتماع وفي يده حقيبة سوداء ، وجلس تجاه الرئيس عبد الناصر الذي كان محاطا بنوابه الذين يمثلون دول الحلف العربي ــ الافريقي . طلب عرفات جعل الاجتماع سريا ثم قال

موجها كلامه الى الرئيس عبد الناصر :

ـ « سيادة الرئيس والاخ الكبير ، اود في هذا الاجتماع اطلاع الاخوان على اننا نحن الفلسطينيين بعد ربع قرن من التشرد والعيش تحت الخيم وداخل المغاور، قررنا العودة الى فلسطين بالقوة . اننا نملك الان أكثر من مئتي الف مقاتل موزعين بين الجبهتين ، وسنبدأ الهجوم في الخامس من حزيران أي بعد ٤ أيام من هذا الاجتماع وخطة هجومنا معدة بحذافيرها وهي داخل هذه الحقيبة وسوف اطلعكم عليها فور أخذ موافقتكم على مساندتنا . لقد تحدثت مع زملائكم من حلف الجبهة الشرقية وأخذت موافقتهم شرط أن تساندونا انتم أيضا ، ان الشعور بالعار الذي لحق بنا منذ ٦ سنوات أخذ يزول من قلوب الشعوب العربية التي سئمت حرب الاستنزاف التي طالت وطالت ، لقد قتل منا حتى الان أكثر من خمسين الف فدائي ونحن مستعدون لان نضحي بالمليونين اذا كان ذلك يعيد الكرامة الى الامة العربية » .

بعد ان انهى ابو عمار كلمته ، تبسم الرئيس عبد الناصر ، ثم قال :

ـ « منذ ان قمت بثورة يوليو ١٩٥٢ وانا اتطلع الى هدف واحد هو ازالة الاستعمار من البلاد العربية واعادة الوحدة من الخليج الى المحيط . وقد حققت بعض احلامي ، فطردت الاجانب من مصر وليبيا والعراق والجنوب العربي . وحققت نوعا من الوحدة العربية ولو كانت شطرين ، كان الثمن غاليا بالنسبة الي . اذ فقدت جزءا من مصر الحبيبة . وانت تعرف أكثر من غيرك انني مستعد لان اهاجم اسرائيل منذ سنة ١٩٧٠ ، لو كان عندي أمل واحد بالمئة في عدم تدخل الولايات المتحدة بقوتها الجبارة الى جانب اسرائيل . ان اي نكسة جديدة للعرب ، تعيد الاستعمار الى بلادنا وتفقدنا الكسب الكبير الذي حققناه . واظن ان الاخوان موافقون معي

على اننا لا نقدر ان نقاوم الولايات المتحدة بدون مساندة روسيا . والكل يعلم ان روسيا تؤيدنا معنويا وماديا لكن ضمن حدود وهي الان لا تقدر رغم قوتها الجبارة ان تدخل الحرب على جبهتين معا . ان الصين تنتظر فرصة اعلان الحرب بين الولايات المتحدة وروسيا ، لتنقض على هذه وتقضي عليهـــا . فالصين ليس لها اراض مشتركة مع الولايات المتحدة لتخاصمها بعد ان انسحبت الولايات المتحدة من الفيتنام ، وقـــد طلب مني السفير الروسي ان انتظر المناسبة الدولية لاخذ موافقة موسكو على الهجوم . ان جيش الجبهة العربية ـــ الافريقية يضم الان ٨٠٠ ألف رجل وهو قادر وحده على دحـــر اسرائيل لكن ما ان يبدأ الهجوم حتى تنهال القنابل الذرية الاميركية على تجمعاتنا ومدننا فتقضي علينا . فاذا كان عندك خطة لابعاد الولايات المتحدة فاننا نكمل الحديث والا اقول لك بكل اسف : عملية الانتحار لن تفيد سوى اسرائيل التي تستنزف قواهـــا حرب الاستنزاف التي اعلناها سنة ١٩٦٩ .

تبسم ابو عمار وهو يفتح الحقيبة السوداء ويبسط على طاولة الاجتماع خريطة للولايات المتحدة وأخرى لفلسطين .

ـ « منذ ستة أشهر تقريبا . اختفت طائرة أميركية من نوع « ب ٥٢ » وعلى متنها ٦ قنابل هيدروجينية قرب جزيرة صقلية . لم تتحدث الصحف عن الحادث لان الولايات المتحدة احاطت الموضوع بالسرية التامة . لقد قام رجالنا بخطف الطائرة بمساعدة « القوة السوداء » في الولايات المتحدة المعروفة باسم « ألاسلام السود » . كان بامكاننا ان نقذف هذه القنابل على مدن أسرائيل في مغامرة جنونية ، الا ان هناك أكثر من مليون عربي من أخواننا يعيشون في فلسطين المحتلة ونحن لا نريد ان نضحي بهم . لقد تمكنا من ادخال هذه القنابل عن طريق المكسيك وكندا الى الولايات المتحدة وهي موجودة حاليا في أكبر المدن الاميركية : نيويورك ، واشنطن ، شيكاغو ، لوس انجلوس وديترويت ، بحراسة مجموعة من الفدائيين الذين تلقوا أوامر بتفجيرها اذا ما شعروا بالخطر . انها عملية خطرة جدا وقد تسبب الدمار للبلاد العربية ، الا ان المشرف على الغرق لا يهمه البلل كما يقولون . « عملية ٥ حزيران » اخترت لها هذا الاسم ، كي امحو الى الابد وصمة العار التي تعرضت لها امتنا

العربية سنة ١٩٦٧ جاعلا من هذا التاريخ نصرا كبيرا يفتخر به كل عربي على مدى العصور .

أيها السادة في الثالث من حزيران سوف تستولي مجموعة من الفدائيين على محطة اذاعة « آلان. بي. سي. » في نيويورك وثبت خبر وجود القنابل الهيدروجينية في المدن الاميركية . بعدها تقوم مظاهرات كبرى من قبل « الاسلام السود » تطالب بعدم تدخل الولايات المتحدة في الشرق الاوسط . وعندما يدب الذعر في الولايات المتحدة ، علينا نحن العرب ان نستغل الظرف لنوجه الى اسرائيل ضربتنا القاضية ، ان عملية ضرب الطيران في الصباح الباكر ، يجب ان تتكرر بالعكس . على طيراننا ان يضرب اولا ويشل الطيران الاسرائيلي ، ثم يسيطر على الاجواء العربية . العملية كلها يجب الا تدوم أكثر من ٤ أيام ، بعدها تكون الجيوش العربية قد احتلت تل ابيب وجميع المدن الاسرائيلية ، فنضع العالم أمام الامر الواقع وينتهي الامر . وذلك لان قوة اوروبا الغربية ، فرنسية أكانت ام المانية ام انكليزية لا تقوى على الردع الفوري ولن تفعل شيئا قبل استشارة الولايات المتحدة ومعرفة ما اذا كانت روسيا ستقف مكتوفة اليدين ام انها ستهدد العواصم الاوروبية كما فعلت سنة ١٩٥٦ » .

بعد ان انهى ابو عمار كلامه ، قال الرئيس عبد الناصر وقد تألق وجهه :

ــ « الحقيقة انا احب المغامرة ، وكما قلت لك في بداية حديثنا ، اذا كان عندي أمل واحد بالنصر فاني العب ورقته . ان ما تحدثت عنه شيء خطير ، قد يجر الامة العربية الى الدمار أو يعيد اليها المجد الضائع الذي نبحث عنه منذ ان احتل بلادنا الغازي العثماني . على كل اذا كان ما ذكرته يمكن اثباته بالدليل فان الاخوان لن يتأخروا في مساندتك بكل قواهم لتحرير الارض

العربية من آخر فلول الاستعمار .

عندها اخرج أبو عمار من حقيبته ، صورا لاختطاف الطائرة ، وأخرى للقنابل الموجودة في المدن الاميركية ، فأقتنع القادة العرب وانتقلوا الى غرفة العمليات ، لدرس الموضوع مع القادة العسكريين ، وتنسيق التعاون مع مختلف الجبهات والجيش الفلسطيني ، فترك ابو عمار اللواء يحيى مع القادة وعاد ليلا الى قاعدته في مكان ما في لبنان ، لتنسيق أعمال الفدائيين الموجودين في الولايات المتحدة .

٢ حزيران

عقد القادة العسكريون من الجبهة الشرقية والغربية اجتماعا سريا في القاهرة لادخال بعض التعديلات على الخطط التي كان معظمها دفاعيا . وحضر اللواء يحيى الاجتماع بعد ان وضع قوة جيش التحرير بتصرف القيادة العامة وابلغ الحاضرين ان جميع سكان الضفة الغربية وفلسطين المحتلة سوف يقومون بعمليات تخريبية كبيرة، من نسف الجسور ، وقطع الاسلاك ونصب الكمائن للقوافل العسكرية ، وارشاد الجيوش العربية اثناء تقدمها في فلسطين المحتلة كما ان سكان المدن سوف يثورون ويحررون مدنهم . وذلك لدى سماعهم صوت العرب يعلن بدء « عملية ٥ حزيران » .

فاتفق القادة العرب على ان يقوم طيران الحلف العربي ــ الافريقي بنقل قسم من طائراته الى مطارات لبنان وسوريا ، وعلى دفعات صغيرة ، لان هذه المطارات قريبة من اسرائيل ولا يلزم الطائرات أكثر من خمس دقائق لتكون فوق أهدافها . كما انهم وقتوا الهجوم في تمام الخامسة من صباح ٥ حزيران أي مع مطلع الفجر وذلك لان الشمس تكون في ظهورهم اثناء الانقضاض على المطارات الاسرائيلية . وفي اليوم نفسه بعد ان يسيطر الطيران العربي على الاجواء الفلسطينية ، تقوم مصر بأكبر عملية انزال جيوش على ساحل شبه جزيرة

سيناء ، قرب العريش ، فتلف الجيش الاسرائيلي وتقطع عليه طريق مضيق ماتيلا وطريق العريش معا ، فتهاجم استحكامات خط دفاع بارلييف من خلف . كما ان الجيش اللبناني سوف يساعد الفدائيين لانجاح عملية انـــزال مشابهة بين عكا وحيفا ، لاقامة رأس جسر قوي بانتظار الهجوم الاردني ، العراقي الذي يشطر اسرائيل شطرين.
كانت هذه هي الخطوط العريضة للهجوم العربي . وقد بدأ التنفيذ في الليلة نفسها بأرسال أكثر من مئتي طائرة ميغ ٢٣ وقاذفة سوخوي الى مطار رياق ، والعريضة والشام وحمص .

٣ حزيران

دهش العالم بأسره لدى سماعه صوت : هنا صوت العاصفة في اذاعة نيويورك . وبعد ان زالت الدهشة دعا رئيس كل دولة من الدول الغربية مجلس وزرائه لدرس القضية .

في الكرملين أجتمع المكتب السياسي للحزب الشيوعي تحت صورة لينين الكبيرة ، حول الطاولة الخضراء . فوقف ليونيد بريجنيف البالغ من العمر السادسة والستين وقال موجها كلامه الى الرفيق كرشكو رئيس مكتب المخابرات :

« اطلب من الرفيق كرشكو الذي تربطه أكثر من صداقة مع القادة العرب ان يحدثنا عن آخر المعلومات التي وصلته عن التطورات في الشرق الاوسط .

فوقف الرفيق كرشكو وقال :

ـ « لقد سمع الجميع أخبار التهديد الفلسطيني للولايات المتحدة ، وتدل معلوماتي الاولية على ان الفدائيين جادون في تهديدهم ،وقد لاحظ رجالي في البلاد العربية ، تنقلات كبيرة وحركة غير اعتيادية بين الجيوش العربية ، ولا استبعد القيام بهجوم عربي كبير على اسرائيل بين يوم وآخر ، واذا كانت تقديراتي صحيحة استنادا الى خبرتي في العقلية العربية ، فالهجوم العربي سوف يكون في الخامس من حزيران . وقد

وصلتني برقية قبل نصف ساعة من احد الخبراء في مصر يقول فيها : « ان الاستعدادات على القناة على قدم وساق وقد وصلت مجموعات كبيرة من الجيوش العربية الى الاسكندرية حيث يرسو الاسطول المصري . وهذا يعني ان هناك عملية انزال جيوش وغزو بكل معنى الكلمة . لا ادري مدى خوف الولايات المتحدة من التهديد العربي ، لكن الثابت هو فقدان احدى الطائرات الاميركية في البحر قرب صقلية . هذه هي كل المعلومات التي املكها الان ، وسوف اطلعكم على كل البرقيات التي تصلني من عملائنا المنتشرين في العالم » .

بعد ان انهى الرفيق كرشكو كلامه وقف الرفيق شيليبين وقال :

اريد ان اتكلم عن الوضع العسكري في الشرق الاوسط ، في حال عدم تدخل الولايات المتحدة في الحرب ضد العرب .

من ناحية الطيران تملك الجيوش العربية مجتمعة نحوا من ألفي طائرة موزعة بين ميغ ٢١ و٢٣ وقاذفات سوخوي ٧ واليوشين بينها نحو من مئتي طائرة غربية الصنع من نوع ميراج وهوكر هنتر وليتننغ وفانتوم يملكها كل من لبنان والاردن وليبيا والسعودية وهي تساعد نوعا ما على المساندة اذا سيطر العرب على الاجواء . تقابلها لدى اسرائيل نحو ألف ومئتي طائرة معظمها أميركي من نوع فانتوم وسكايهوك بالاضافة الى طائرات فرنسية من نوع ميراج وميستير وفوتور ، وسوف تساندها مجموعة من الطائرات الاسرائيلية الصنع في حال سيطرتها على الاجواء . هذه القوى تتعادل تقريبا في حال عدم وجود المباغتة ، لان الصيانة الارضية الاسرائيلية تضاعف فعالية هذه الطائرات تقريبا . كما ان خطوط التموين العربية ستكون بعيدة اما الخطوط الاسرائيلية فقريبة .

بالنسبة الى المدرعات ، لدى العرب أكثر من الفين وخمسمئة دبابة من مختلف الانواع ومعظمها روسي الصنع ، كما ان هناك مئتي دبابة « شفتين » انكليزيه ممتازه ، يقابلها لدى اسرائيل ألف وسبعمئة دبابة نصفها حديث وارد الولايات المتحدة وبريطانيا . وهنا أيضا يدخل التموين كعنصر اساسي .

الاسطول العربي هو ضعفا الاسطول الاسرائيلي وهو قادر على السيطرة على البحار تماما . كما ان المدفعية العربية متفوقة (٣ ضد واحد) على المدفعية الاسرائيلية . تبقى الصواريخ الموجهة من الارض الى الارض ومن الارض الى الجو ، فلدى العرب نحو من ألف صاروخ ذي مدى متوسط يبلغ ألف كيلومتر وهي تحت اشراف خبراء سوفيات ، ولا أعرف تماما قوة الصواريخ الاسرائيلية الا انهم صنعوا منذ مدة صواريخ خاصة هي نوعا ما نسخة عن الصاروخ الفرنسي « ديامون » و« روبي » .

يبقى عدد الرجال . تضم الجيوش العربية مجتمعة نحوا من مليون ونصف مليون جندي ، اما اسرائيل فلديها ٨٠٠ الف جندي الا انها الان في حالة دفاع ، بينما العرب في حالة هجوم وهذا يعني أن العدد يتعادل . نتيجة استنتاجي هي ان مصير المعركة يتوقف على المباغتة والسيطرة على الجو في مستهل المعركة . وانصح الرفاق بالموافقة على اعطاء عبد الناصر الطائرات الحديثة التي يطلبها وعددها مئتان ، لان سمعة السلاح السوفيتي في حال فشل العرب ، ستلوكها الالسن داخل حلف وارسو .

وهنا وقف الرفيق ميخائيل اندريفيتش سوسلوف فيلسوف الماركسية وقال :

« اظن ان عدم اعطاء عبد الناصر الاشارة الخضراء للهجوم أفضل من مساندته بارسال الطائرات له كما

يطلب الرفيق شيليبين ، ذلك أن انتصار عبد الناصر في الحرب سيجعل منه رجل الشرق الاوسط وأفريقيا ، فتنضوي الامة العربية وتتوحد تحت رايته ، وهذا ليس في مصلحة موسكو التي ستفقد سيطرتها في الشرق الاوسط . وذلك لان العرب لن يصبحوا اشتراكيين بعد انتصارهم ، بل أرى العكس . انهم سوف يتجهون نحو الغرب للاستفادة من الخيرات التي تختزنها اراضيهم . العرب اصدقاؤنا ما دام هناك خطر اسرائيل وتحيز الولايات المتحدة لهذه الدولة . لهذا يجب الا نساعد العرب على النصر ، بل علينا ان نحافظ على هذا القلق الذي يسود الجو العربي ، لنمكن الحزب الشيوعي من كسب العملاء واستمالة الافراد باعداد كبيرة . ان العربي ينسى بسرعة ويحلم كثيرا ... من يدري فقد يعقب انتصار العرب اعلان الخلافة من جديد . وكما تعلمون لا يمكن ان تعيش الشيوعية في ظل الخلافة . ان ٦٠ بالمئة من بترول الغرب يأتي من البلاد العربية ، وفي حال زوال اسرائيل ، سوف تنهال العروض الغربية على البلاد العربية سخية ومغرية ، بينما نحن لسنا بحاجة الى بترولهم لنشتريه منهم ، والمرء يطمع بما يعود عليه بالنفع . لقد ساعد الاتحاد السوفياتي على خلق اسرائيل وندم فيما بعد ، لكن هل نقف مكتوفي الايدي امام المذابح التي سوف يتعرض لها اليهود في حال انتصار العرب ! »

بعد ان جلس سوسلوف وقف الكسي كوسيغين وقال خاتما الاجتماع :

— المهم هو كيف سوف نتصرف في حال تدخل الولايات المتحدة في الحرب وارسالها الاسطول السادس لمساندة اسرائيل . اننا كما تعلمون لا نقدر على مجابهة الولايات المتحدة والصين معا ، لذلك اظن من الافضل ان ننتظر الاحداث وان نرسل الى عبد

الناصر ما يطلبه من سلاح بعد أن نعلم الولايات المتحده بحيادنا بواسطة الهاتف الاحمر .

في فرنسا طلب البارون غي روتشيلد مقابلة مع مدير بنكه السابق الرئيس بومبيدو ، وفي الاليزه اختلى به وخاطبه قائلا :

ــ « جورج انت تعلم أكثر من غيرك حبي لاسرائيل والتضحيات الكبرى التي قمت وما أزال أقوم بها في سبيل دعم هذه الدولة ، ان يهود فرنسا يخاطبونك بلساني ولن ينسوا تجاوبك معهم . وغدا يأتي وقت الانتخابات ، سوف نفتح لك حسابا جاريا لتمويل حملة التجديد ، كما ان الصحافة الفرنسية التي نسيطر على ٩٠ بالمئة منها لن تؤيد غيرك . انني مكلف باعطائك تعهدا خطيا بذلك منذ الان ، كل هذا مقابل الافراج عن طائرات الميراج ٥ وبيعنا فورا مئة طائرة من نوع ميراج ٧ ذات الاجنحة المتحركة . ان حياة ثلاثة ملايين شخص بين يديك ، فكر بالموضوع وأمامك مهلة ثلاثة أيام » .

هز الرئيس بومبيدو رأسه ووعد زائره بدرس الموضوع واعطاء الجواب في أقرب وقت .

أسالت عروض روتشيلد لعاب الرئيس بومبيدو الا انه كان ما يزال يخاف شبح الرئيس ديغول الذي يراقب كل شيء من خلال الحزب الديغولي القوي ، برئاسة السيد كوف ده مرفيل .

في انكلترا اجتمع مجلس العموم برئاسة السيد ويلسن ، وبعد درس الموضوع اتخذ قرارا بالانتظار لان لانكلترا مصالح مالية ضخمة في البلاد العربية وللعرب ارصدة كبيرة في البنوك الانكليزية وفي حال سحبها ينهار الجنيه الاسترليني . وقد وافق حزب المحافظين بتحفظ على الانتظار ، مع العلم ان اكثر من عضو بارز فيه طالب بمساندة اسرائيل .

٤ حزيران

تمكن مكتب المخابرات الاميركية من تحديد موقع احدى القنابل في مدينة نيويورك وذلك بعد ان قام بأكبر عملية بحث اشترك فيها أكثر من مئتي الف شخص . كانت القنبلة التي اطلق عليها اسم « دير ياسين » ، موضوعة في أعلى طابق من بناية شامخة وسط المدينة ، يحرسها ٦ أبطال من فدائيي فتح . احتلوا الغرف الاربع الواقعة في اخر الممشى . يساندهم عشرة رجال من جمعية « الاسلام السود » . وعندما حاصر البوليس البناية وطلب من الفدائيين الاستسلام . كان جوابهم :

« في حال اجتيازكم طرف الممر ، نفجر القنبلة » ، وكما قال شمشون « علينا وعلى أعدائنا يا رب » .

لم يكن يتوقع البوليس مثل هذا الجواب . فبادر الى اخلاء البناية ، ثم الحي لكن الذعر الذي دب في المدينة وجعل سكانها يهربون مثل الفئران عندما تشرف السفينة على الغرق ، قتل أكثر من الفي شخص اثناء الهرب . وقد أعلنت مدينة نيويورك وضواحيها مدينة محرمة تسري عليها الاحكام العرفية ، وذلك على اثر انتشار السرقة والنهب . فغدت المدينة التي تضم ١٨ مليون نسمة ، مثل الربع الخالي لا تضم سوى بعض الحيوانات التي لم يأخذها اصحابها معهم . وكانت دوريات الشرطة تجوب الشوارع وتطلق النار بدون

انذار على كل من تشاهده يخرج من بناية حاملا امتعة . وارسلت شركات التلفزيون مندوبيها بالهيليو كبتر لتصور الفدائيين والبناية التي تضمهم .

عند الظهر وافق الفدائيون على استقبال صحافي ومصور في الغرفة التي تضم القنبلة الهيدروجينية وقد أخذت لهم صور وهم جالسون على القنبلة وصور أخرى وهم يقبلونها ، فظهرت صورهم على الصفحات الاولى من صحف العالم ، مع بيان فتح .

في واشنطن قامت تظاهرة صهيونية في اتجاه البيت البيض تحمل لافتات تطالب بمحو البلاد العربيه عن خارطة العالم ، لكنها اصطدمت بتظاهرة اخرى تضم عشرات الوف الاميركيين الزنوج ، يهتفون : لا نريد ان نموت من اجل موشي دايان ، اسرائيل الى الجحيم ، اخرجوا الحرب من ديارنا . أحاطت هذه الجماهير بالبيت الابيض ولما منعتها قوة الحرس الوطني من دخول القصر ، عسكر الجميع حول البنتاغون واحاطوه بلافتاتهم التي تحمل كلها شعارات معادية لاسرائيل . لقد نجح « الاسلام السود »في السيطرة على الشارع وتفريق التظاهرات المؤيدة لاسرائيل . في هذه الاثناء كان الرئيس ريتشارد نكسون قد جمع شمل مساعديه في البيت الابيض ادرس الموضوع كما يقولون .

وقف الرئيس نكسون مقطب الجبين ، وقال لمساعديه :

ــ ان الموقف حرج وحياة الملايين من الاميركيين معرضة للخطر ومصير الولايات المتحدة كأمة قائدة للعالم الحر رهن بما نقرره في هذا الاجتماع ، لهذا أطلب منكم بكل اخلاص ان تحكموا عقولكم . وان تتخذوا قرارا اجماعيا اتصرف على اساسه ، وحتى لا اؤثر على مداولاتكم في هذه الغرفة ، فاني انسحب الى مكتبي ولكن ارجوكم مرة ثانية : اريد قرارا اجماعيا وسريعا .

بعد ان خرج الرئيس نكسون من غرفة الاجتماع ، تكلم السيد وليم روجرز وزير الخارجية ، قال :

« لقد حمل الاميركيون السلاح في الماضي ضد الديكتاتورية والفاشستية والشيوعية وذلك دفاعا عن الحرية . الموضوع يختلف هذه المرة ، اذ ان الحرب وصلت الى ديارنا وعلينا ان نتخذ قرارا يتوقف عليه مصير الولايات المتحدة ومصير ثلاثة ملايين يهودي في اسرائيل . هذا هو الموضوع باختصار : من جهة زوال الولايات المتحدة كقوة مدافعة عن العالم الحر ومن جهة ثانية المحافظة على كيان اسرائيل والوعد الذي بذلناه لها بالمحافظة عليها . من جهتي ورغم حبي الكبير لاسرائيل ، فانا ما ازال اميركيا واحب بلادي قبل غيرها ، لهذا اصوت مع وقوف الولايات المتحدة على الحياد » .

ثم اعطى الكلمة لمستشار الامن الوطني السيد هنري كيسنجر الذي قال :

ـ «الموضوع بالنسبة الي دقيق جدا، فأنا يهودي، واذا كان دماغي يعمل من أجل الولايات المتحدة ، فقلبي يعمل لاسرائيل ، لهذا أرجوكم اعفائي من ابداء رأيي ، لان رأيي في مثل هذه الظروف لن يكون مجردا » .

وتكلم وزير الحربية السيد ملفين ليرد ، فقال :

ـ « انتصار ناصر على اسرائيل لا شك فيه اذا لم نساند اسرائيل عسكريا . في مثل هذه الحالة ، نهدم مؤخرتنا وصناعتنا وبكلمة أوضح قوتنا العسكرية التي نعدها لمجابهة القوة الشيوعية . ان فقدان اسرائيل لن يضعف قوتنا في العالم ، مع العلم ان اسرائيل لم تعد ذات اهمية ستراتيجية في الشرق الاوسط برغم زوال قاعدة ويلس في ليبيا ، فنحن نملك قواعد كبيرة في تركيا وايران والسعودية ، وهذه البلاد الاسلامية اخذت تكشر لنا عن أسنانها ، بعد حرق اليهود للمسجد الاقصى . لهذا أقول انه ينبغي لنا ان نضحي باسرائيل

كقاعدة أميركية وننقذ سكانها بانشائنا جسرا جويا ، كالجسر الذي اقمناه لانقاذ برلين . ان استراليا مستعدة لان تقبل ٣ ملايين مهاجر جديد » .

وبعد ان انهى وزير الحربية كلامه وقف مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة السيد شارل يوست (رئيس تحرير مجلة يوست سابقا) وقال :

ــ «نحن ما نزال نجمد قرارات الامم المتحدة منذ سنة ١٩٦٧ من أجل اسرائيل ، فلو قبلنا بتنفيذ القرارات عندما قبل بها العرب لما وصلنا الى هذه الحالة الان ، اننا ندفع ثمن اغلاطنا الماضية . لقد برهـــن الرئيس الراحل ايزنهاور عن حكمة عندما أمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها سنة ١٩٥٦ . فلو فعل الرئيس جونسون او نيكسون الشيء نفسه ، لكنا الان أصدقاء العرب ولما كانت حدثت كل هذه الانقلابات التي خلقت لنا أكثر من عدو في العالم العربي . المهم الان هو ان نحاول اجبار اسرائيل على التراجع الى حدودهـــا القديمة ، ربما قبل العرب بذلك وتخلصنا مـــن سيف ديمقليس وهو الان فوق رؤوسنا . لقد تحدثت قبـــل دخولي هذه الغرفة مع مندوب اسرائيل السيد « تكوه » واقنعته بأن تقبل اسرائيل التنازل عن مكاسبها ، واعتقد ان « تكوه » هذا سيوافق على عودة قسم من اللاجئين العرب الى ديارهم ، لهذا أطلب موافقتكم على اجراء محادثات مع مندوبي الدول العربية . ومن يدري فقد تنقذ السياسة الولايات المتحدة من هذه الورطة قبـــل فوات الاوان » .

تم الاتفاق على أن يكلف مندوب الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة ، اجراء مفاوضات سريعة مع مندوبي مصر واسرائيل وابلاغ الرئيس نكسون النتيجة .

وفي تلك الاثناء كان البوليس يبحث عبثا عن طريقة لمهاجمة الفدائيين وانقاذ مدينة نيويورك من الدمار .

كانت اسرائيل بعد التهديد الفلسطيني بنسف المدن الاميركية تنتظر الهجوم العربي في أية لحظة ، خصوصا انها لم تتمكن رغم المحاولات التي قام بها وزير خارجيتها ايبا ايبان من اقناع اية عاصمة اوروبية باصدار بيان تعلن فيه مساندتها اسرائيل عسكريا ، وهكذا ، ولاول مرة منذ قيامها سنة ١٩٤٨ وجدت اسرائيل نفسها وحيدة فعلا أمام البلاد العربية الموحدة . فقررت تطبيق خطة « مقلاع دافيد » بأسرع ما يمكن .

هذه الخطة التي وضعها « موشي دايان » رئيس الوزراء ووزير الدفاع بمساعدة الجنرال رابين الذي أعيد الى الخدمة الفعلية والجنرال بارليف وقائد الطيران مرداخاي هود الملقب « بموتي » تتلخص بأن الهجوم هو أفضل طريقة للدفاع ، فاذا كانت خطة تدمير الطيران المصري والعربي قد نجحت سنة ١٩٦٧ ، فيجب ان تنجح مرة ثانية مع بعض التعديل . خصوصا ان اسرائيل تملك حاليا مئتي طائرة فانتوم بامكانها ان تصل الى سد اسوان وتعود دون ان تفرغ خزاناتها من الوقود .

في تمام الساعة الثالثة صباحا اقلع ثلاثة ارباع الطيران الاسرائيلي من القواعد الجوية الاسرائيلية ، ومطارات الجولان وشبه جزيرة سيناء نحو البلاد العربية لتنفيذ خطة « مقلاع دافيد » . وانتظر في غرفة القيادة

« موتي هود » و« موشي دايان » الذي كان قد فقد ذراعه اليسرى اثناء تعرضه لحادث اغتيال من قبل فتح ، جلس الرجلان صامتين والعرق البارد يتصبب من جبهتيهما . انهما ينتظران على أحر من جمر عودة الطائرات ظافرة ، كما حدث سنة ١٩٦٧ .

كانت الاتصالات اللاسلكية بين الطائرات المغيرة والقيادة مقطوعة تماما . وقد أعطيت الاوامر للطائرات بأن تطير على علو منخفض لتجنب الرادار العربي . الهدف الاول للطائرات الاسرائيلية هو تدمير السد العالي واغراق مصر بالمياه ، وقطع الكهرباء عن القاهرة والمدن الاخرى . وقد صنعت اسرائيل لهذا الغرض قنبلة خاصة على شكل طوربيد تقذفها الطائرة عن بعد ٥٠٠ متر من السد ، فتغوص في الماء ٣٠ مترا ثم تتجه بسرعة تحت الماء نحو جدار السد فتفجره . سبع طائرات فانتوم كانت مزودة بمثل هذه القنابل . اما الهدف الثاني في مصر فقد كان حلوان ، حيث أغلب الصناعات الحربية والمدنية . ثم القاهرة والاسكندرية لاشاعة الذعر في نفوس الاهالي . ادركت اسرائيل انها لا تستطيع تدمير المطارات المصرية ولا الطائرات الجاثمة تحت الارض ، وظنت انها بضربها الاهداف المدنية تؤثر على معنويات الجنود في الجبهة فتنهار معنوياتهم عندما يعلمون ان القاهرة قد دمرت وان الاسكندرية واغلب المدن الاخرى تحترق .

أما الاسراب المتجهة نحو الجبهة الشرقية فقد كانت مهمتها ضرب بغداد ودمشق وبيروت والموصل ، وحمص وحماه وطرابلس وجميع المدن التي يزيد عدد سكانها على المئة ألف نسمة وتهديم السدود ومهاجمة المعسكرات . حتى السعودية والكويت كان لهما نصيب من التدمير ، بفضل طائرات الفانتوم ذات المدى البعيد . وفي حساب اسرائيل ان تدمير المنشآت البترولية تذكر الولايات

المتحدة بأن من مصلحتها مساندة اسرائيل ووقف مد العرب بالمال الذي يساعدهم على شراء السلاح من الخارج .

هذه الغارة الاولية اعتبرتها اسرائيل كافية لاشاعة الذعر في نفوس العرب وتمكينها هي من مواجهة حرب دفاعية طويلة الامد بانتظار تدخل الدول الكبرى ، بما فيها روسيا ، لفرض الحل السلمي على المتحاربين . فتقبل اسرائيل بالتنازل عن بعض الاراضي العربية وتخرج من الحرب ببعض المكاسب وبالسلام الدائم وذلك بانتظار مناسبة غدر اخرى .

كان محمود مائي يتحرق شوقا الى كبس زناد مدفعه المسير على الرادار وهو يشاهد الطائرات الاسرائيلية تمر فوق رأسه متوغلة فوق الاراضي المصرية . الا ان التعليمات كانت مشددة وصريحة : وهي عدم اطلاق النار على الطائرات المغيرة الا بعد تلقي أوامر بذلك .

برغم طيرانها المنخفض ، كانت قيادة الجبهة المصرية تتبع تقدم الطائرات الاسرائيلية بفضل الرادار السري « اكس ٧٠٠ » الذي زودتها به روسيا منذ سنة والذي يمكنه ان يشاهد الطائرات ولو كان ارتفاعها ١٠ امتار .

أمام اللوحة الزجاجية الكبيرة التي رسمت عليها خارطة الجبهة المصرية ، كانت ثلاث فتيات مجندات يرسمن بالاسهم البيضاء تقدم الطائرات المغيرة ، حسب التعليمات التي يتلقينها . ضمت غرفة العمليات الحربية في ضواحي القاهرة ، كلا من جمال عبد الناصر والقائد محمد فوزي واللواء معمر القذافي وبوبكر عوض‌الله وهواري بومدين وقواد الجبهة التي تمثل البلاد الافريقية . كان محمد فوزي يريد ان يعرف قبل اعطاء اوامره الاتجاه الذي يتبعه الطيران الاسرائيلي في

مهاجمة مصر ، والبلاد العربية .

بعد خمس دقائق من الانتظار تأكد الفريق فوزي من اتجاه الطائرات الاسرائيليـة التي كانت تتبع ثلاثـة اتجاهات : موجة منها قطعت البحر الاحمر واتجهت نحو السد العالي والسودان ، سالكة طريق « نجع حمادي » وهي تتألف من ٢٧ طائرة وثانية تتجه رأسا من العريش نحو القاهرة وحلوان وهي تتألف من ١٨٠ طائرة مـن المقرر ان تنقسم قسمين يتجه احدهما نحو القاهرة والاخر نحو حلوان عند بلوغ نقطة معينة . وثالثة متجهة من تل ابيب فوق البحر نحو الاسكندرية ومؤلفة من ١٧٢ طائرة سوف تنقسم قسمين ، قسم يدمر الاسكندرية وقسم يكمل طريقه الى حلوان .

أعطى الفريق فوزي أوامره الى قسم المدفعيـة والصواريخ كي يفتح النار بدون توقف ، بينما اطفئـت الانوار في جميع المدن والقرى واعطيت الاوامر الـى الطائرات المقاتلة كي تستعد لمجابهة العدو عندما تلوح أول خيوط الفجر ، ولدى عودته .

لم يكن يعقوب بن أري الـذي هاجم مصر سنة ١٩٦٧ ينتظر اية مقاومة مصرية ، فهو يطير على ارتفاع منخفض جدا . تحت مستوى الرادار . ادخل قطعة من السكر في حلقه ونظر الى القرى المصرية المضيئة تحته، كان عليه ان يطير مدة عشر دقائق قبل ان يصبح فوق حلوان . فجأة اطفئت الانوار كلها دفعة واحدة واضيئت السماء حوله بألوف القنابل المشتعلة . لم يتمكن من بلع قطعة السكر ، ففي اقل من خمس ثوان كانت طائرته تتمزق اذ اصابها صاروخ موجه من طراز سام ، ثم أخذت طائرات سربه تهوي الواحدة تلو الاخرى ففتح دافيد مزراحي الاتصال اللاسلكي بين مختلف الاسراب وقال لها بلهجة ملؤها الخوف : ارتفعوا بسرعة ، اصعدوا الى اقصى حد ممكن لقد وقعنا في فخ . وعندمـا أصبحـت

الطائرات على علو عشرين الف قدم لم يكن قد بقي من سربه المؤلف من ١٧٢ طائرة سوى سبعين طائرة . فجمعها واكمل طريقه نحو حلوان ، لان الاوامر تقضي بان يدمر مركز الصناعة مهما تكبد من خسائر . عندما اصبح على هذا العلو ، توقفت المدفعية المصرية ، وأكملت الصواريخ عملها المدمر ، فكانت الطائرات تهوي الواحدة تلو الاخرى ، ذلك لان الفريق فوزي كان قد حشد أكبر قوة مضادة للطيران حول حلوان المركز الحساس للصناعة الثقيلة .

عندما لاحت خيوط الفجر اندفعت اسراب الطائرات المقاتلة العربية في الاجواء المصرية على دفعتين : قسم اتجه نحو ما تبقى من مقاتلات وقاذفات العدو ليدمرها والقسم الاخر المؤلف من القاذفات اتجه تحميه المقاتلات نحو اسرائيل « ليرد الرجل » مع مطلع فجر ٥ حزيران ، وليمحو الى الابد وصمة العار التي لحقت بالعرب سنة ١٩٦٧ .

لقد نفذ العرب خطتهم بحذافيرها وكانوا ينتظرون الضربة الاسرائيلية الغادرة ، لان اسرائيل قد عودتهم الغدر في جميع الحروب التي خاضوها ضدها طوال ربع قرن .

عندما وصل الى غرفة القيادة العسكرية قرب تل ابيب ان الرادار الاسرائيلي اخذ يتلقى اشارات ضوئية تنبىء بقدوم طائرات نحو اسرائيل ، دمعت عينا « موتي » من الفرح ، فضم الجنرال « بارليف » والجنرال رابين وركعوا يشكرون العناية الالهية التي جعلت خطة « مقلاع دافيد » تنجح للمرة الثانية بتدمير العواصم العربية . لم يكن يخطر على بال القادة اليهود ان الطائرات القادمة هي طائرات عربية وان جميع الطائرات المغيرة على مصر ، قد دمرت . لقد حقق عبد الناصر الكلمة التي قالها سنة ١٩٦٧ قبل اسبوع من بدء الحرب :

« سوف نتلقى الضربة الاولى من اسرائيل ثم نرد عليها بأشد منها » .

بالنسبة الى الطائرات المتجهة نحو السد العالي، وصل منها خمس طائرات وتمكنت احداها من قذف قنبلتها الهدامة نحو السد ولكن حساب الحقل لم يكن مطابقا مع حساب البيدر ، اذ ان المصريين كانوا قد حسبوا حساب مثل هذه الغارة التي شنها الانكليز سنة ١٩٤٤ عندما هدموا سدود هولندا واغرقوا القوات الالمانية . فنشروا عدة سدود من الشباك الفولاذية على ابعاد مختلفة من سور السد ، فتلقفت هذه الشباك القنبلة وفجرتها دون ان تصل الى السد نفسه .

اما الغارات على الجبهة الشرقية ، فقد كانت الخطة نفسها متبعة بفضل التضامن في تنفيذ المخططات العربية ، تركت الطائرات الاسرائيلية تتقدم نحو أهدافها ، ثم تصدت لها صواريخ « كاكتوس » اللبنانية التي تضرب الطائرات على مرتفع منخفض وصاروخ سام ، في سوريا والعراق و « ريد دوخ » وغيرها في السعودية والكويت ، قبل ان ينبري الطيران العربي لملاقاة ما تبقى منها . وكل ما استطاعت اسرائيل هو تدمير حقلين من البترول في الكويت والسعودية وقد ضررت عدة مدن عربية لقربها مثل بيروت ودمشق وحمص . لكن الاضرار كانت ضئيلة لاضطرار الطائرات المغيرة الى القاء قنابلها عن ارتفاع شاهق .

المعركة الجوية

كان موشي دايان ما يزال يشرب الشمبانيا مع مساعديه احتفالا بالنصر ، عندما اهتز الملجأ الذي هو فيه ، فسقطت الكأس من يده واسرع يسأل عن سبب الانفجار . فتلقى اول مخابرة هاتفية من محطة «ديمونا» الذرية عن غارة عربية عليها . فاوعز الى مطار القدس بان يرسل سربا من المقاتلات للدفاع عن المحطة . فكان جواب المسؤول ان مطار القدس يتعرض بدوره لغارة عنيفة وقد دمرت المدارج وعشر طائرات كانت مستعدة للاقلاع .

تصبب العرق باردا على جبينه العريض وهو يطلب مطار اللد حيث تلقى الجواب نفسه : غارة جوية عنيفة ، اسقطنا سبع طائرات عربية ، خسائرنا كبيرة . وأخذت المخابرات الهاتفية تصل الى مقر القيادة على التوالي : اننا نتعرض للقذف الشديد ارسلوا النجدة . الطائرات العربية تملأ الجو . تل ابيب تحترق . مصفاة حيفا تحترق . يافا تتعرض لغارة عنيفة . النجدة !

نظر موشي دايان الى الجنرال « موتي » الذي كان يقف شاحب اللون بدون حراك من جراء الصدمة وقال له :

ــ لقد تكسر « مقلاع دافيد » هذه المرة على الدرع العربية وضاعت اسرائيل .

كانـــت الغارة العربية على اسرائيل شاملـــة استهدفت في البدء المطارات بـــدون استثناء . وكان الفدائيون قد عينوا مراكزها واماكنهـــا وطريقة بنائهـــا وخطط الدفاع عنها . في تمام الساعة الثامنة لم يعـــد هناك وجود للطيران الاسرائيلي كقوة رادعة او مدافعة. وقد تبقى لاسرائيل مئة طائرة داخل مطار سري في شبه صحراء سيناء . بعدها انتقل الطيران الى ضرب الاماكن الحيوية والمصانع متجنبا المدن الاسرائيلية قدر الامكان. فتولى الطيران اللبناني ضرب المصانع والجسور الممتدة بين عكا وحيفا وانقض الطيران السوري على تحصينات الجولان يدكها وعمد الطيران العراقي والاردني الـــى تحطيم التجمعات العسكرية في وسط اسرائيل ، وضرب المصانع حول حيفا .

جلس سالم عبدو في الزورق المعد للانزال هادئا ، يمج من حين الى آخر سيكارته التطلي ، ويمسح يديه المبتلتين بالعرق ببنطلونه الزيتي ، ثم يعود بذاكرته الى البعيد البعيد ، كان عمره خمس سنوات عندما هاجم اليهود بيته في طبريا واجبروه مع امه واخوته على الرحيل . صور تمر بخياله منذ ان اصبح لاجئا يعيش داخل المخيم . كم مرة فكر بالعودة وهو يتحمل لسعات البرد في الشتاء ويتغلب على الحر في الصيف . بعد نكسة ١٩٥٦ ، عاش على أمل العودة القريبة . ثم جاءت نكسة ١٩٦٧ وكان عمره ٢٤ سنة فلم يشترك في الحرب مكتفيا بسماع اصداء الهزيمة من الترنزستور ، بعدها التحق بمنظمة فتح واضعا نصب عينيه : ألموت أو العودة بأي ثمن . انها الفرصة الثالثة التي تتاح له كي يموت في سبيل الارض . كان سالم واحدا من الوف الذين حشدتهم فتح في صيدا وصور ، ليقوموا بأخطر مغامرة في حرب ٥ حزيران ١٩٧٣ . كان عليه مع عشرة آلاف من امثاله ان ينزلوا بين حيفا وتل ابيب ويقيموا رأس جسر بعد احتلال ناتانيا ثم يندفعوا نحو مدينة طول كرم، ويلتقوا مع القوات الاردنية ـــ العراقية . فيشطرون اسرائيل شطرين .

كانت عملية « سيف » تتطلب الحماية الجوية ،

لان قوارب الانزال لم يكن يحميها سوى عشر قطع حربية مؤلفة من قوارب « كومار » المسلحة بقذائف «ستيكس» التي اغرقت المدمرة ايلات سنة ١٩٦٨ قرب بور سعيد . والمدمرة « ناصر » وغواصتين سوريتين . في تمام الساعة الثامنة وبعد ان سيطر السلاح الجوي على السماء العربية لاول مرة منذ ٢٥ سنة ، اندفعت الزوارق تحمل الفرق ١٢ و ١٧ و ٢٢ من قوات الصاعقة نحو فلسطين المحتلة بقيادة اللواء عبد الرزاق اليحيى . لم تكن اسرائيل التي امتدت حدودها الى ضفاف القناة واعالي جبال الجولان تفكر ان بامكان العرب مهاجمتها بحرا نظرا لتفوقها الجوي ، لهذا لم تحم شواطئها ، بل اعتمدت على طيرانها واسطولها لحماية الشواطىء لهذا لم يواجه رجال عملية « سيف » مقاومة تذكر لدى نزولهم الى الشاطىء . قبل سالم عبدو الارض ثم أخذ حفنة تراب ووضعها في جيبه واندفع كالاسد نحو الهضبة التي تبعد نحوا من مئة متر عن فقش الموج ليتمركز عليها ويحمي تقدم رفاقه ، الذين اندفعوا موجة وراء موجة نحو الداخل محيطين بمستعمرة ناتانيا التي فوجئت بالهجوم ولم تبد مقاومة تذكر ، فأحتلها الفدائيون واندفعوا نحو الداخل . فكانت أول مقاومة صادفوها لدى خروجهم من كرم الليمون من قبل مستعمرة « كفر فينكن » . فقد جمدتهم نيران مدافعها الرشاشة مانعة تقدمهم على الطريق العام . حاصر رجال العاصفة المستعمرة وطوقوها ولم ينتظروا وقوعها ، بل تركوا فريقا من الرجال بمن فيهم سالم عبدو يتبادلون التراشق مع المدافعين ، واكملوا تقدمهم على خطين متوازيين نحو « بيت ليد » وكفر موناش . كان كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة الى الهجوم ، عندما برزت أول دبابة « باتون » فحصدت عشرة رجال بمدافعها الرشاشة وأخذت تطلق قذائفها على المقاتلين الذين أخذوا وضعية

الرامي انبطاحا وجاوبوها بالمثل . ثم برزت دبابة ثانية وثالثة تساندها كتيبتان من الكومندوس فنشبت معركـــة رهيبة وتمكن الفدائيون مـــن تدمـــير دبابتين بصاروخي بازوكا . لم يكن الفدائيون يحملون الاسلحة الثقيلة ، لهذا شعروا بحرج الموقف خصوصا أن العدو طلـــب معونة الفوج المتمركز قرب « طول كرم » فلم تتمكن دبابات موشي دايان من الوصول الى مكان المعركـــة بفضل النجدة الجوية التي طلبها الفدائيون من النسور اللبنانيين ، الذين انقضوا كالصاعقة عـــلى الدبابات المتقدمة يمزقون احشاءها بالصواريخ بينما راحت قنابل النابالم تجعل من المحاربين اليهود جثثا سوداء .. بعد مرور سرب « الارز » ثلاث مرات فوق العدو ، حلق على ارتفاع كبير وهو يهز اجنحته تحية منه للفدائيين ، الذين وضعوا الحراب على بنادقهم واندفعوا وســـط النيران التي لم تنطفىء بعد ، واشتبكوا بالسلاح الابيض مع العدو الذي تمكن من النجاة من نيران الطائرات . فكانت صرخة فلسطين ، فلسطين لتشيع الرعب في قلوب الاعداء . وبعـــد قتال استمر اكثر مـــن خمس ساعات ، تمكن الفدائيون من تثبيت رأس جسر طوله ١٠ كيلومترات بعمق ٧ كيلومترات بين « كفر موناش » و « بيت ليد » يحفرون الخنـــادق والاستحكامات ، بانتظار الليل ، اذ لا بد للعدو ان يشن هجوما معاكسا ، مستغلا الظلمة التي تمنع مساندة الطـــيران الفعالة . فأرسل قائد عملية « سيف » اللواء يحيى برقية الـــى ابو عمار يقول فيها : « تمركزنا ولن نتخلى عن أرض الوطن مرة ثانية . ارسلوا لنا ذخيرة . وسلاحا ثقيلا للمساندة ، كي نتقدم غدا نحو طول كرم .

كانت خطة الفريق فوزي في الجبهة المصرية معقدة نوعا ما ، تتطلب دقة في التنفيذ . منذ الثالث من حزيران عندما وافق الرئيس عبد الناصر على خوض الحرب ضد اسرائيل ، ركز الفريق فوزي أكثر من ألف وخمسمئة مدفع بين ثقيل وخفيف على طول الجبهة المصرية التي تمتد من بور سعيد الى السويس ، كما اعد في الخفاء الدبابات البرمئية التي اشترتها مصر من تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٩ ، في نقطة الكبري وعش الشلوطه . كما انه اعد فرقتين من الكومندوس والبحرية في الاسكندرية ، لانزالهما في العريش بحراسة سلاح البحرية المصرية ، الذي كان عليه بعد تأمين حماية انزال ٣٠ ألف رجل في العريش التوجه نحو الموانىء الاسرائيلية ودكها بالمدفعية والصواريخ .

الخطة المصرية كانت تقضي بسد ممر ماتيلا الذي يبعد ٣٠ كيلومترا عن مدينة السويس بالمدفعية البعيدة المدى ، لمنع وصول امدادات الى خط حاييم بارلييف القوي الذي يتألف من تحصينات عميقة ويحميه ٨٠ الف رجل . ثم حصر الصهاينة بين نارين بسد طريق العريش البرية وممر ماتيلا . اما الكومندوس الذي ينزل بالعريش فقد كان عليه ان ينقسم قسمين : قسم يتوجه نحو جبل لبنه لحماية المؤخرة من أي هجوم معاكس ويقطع خط

الرجعة على اليهود ، وقسم يتجه نحو بور سعيد على محاذاة الشاطىء . هكذا تقع الجيوش الاسرائيلية بين فكي كماشة من ثلاث جهات . وكان مقررا أيضا ان تهاجم فرقة سعودية ــ اردنية ميناء ايلات ، ثم ترتد نحو شرم الشيخ لتقطع طريق العودة على الجيوش المتراجعة من منطقه القناة . وقد اطلق على هذه العملية اسم « الفريق عبد المنعم رياض » . وصباح « ٥ حزيران » اعطى الفريق محمد فوزي الاشارة الخضراء لانطلاق عملية « عبد المنعم رياض » .

واجهت قوة انزال الجنود عقبات هامة بفعل نيران الصواريخ الاسرائيلية التي سمرتها ٣ ساعات على الشاطىء ، وقد قتل أكثر من الفي جندي ، الى ان جاء الطيران فأزال قواعد الصواريخ واندفعت الدبابات في الاتجاهين معا ، تاركة الشاطىء بحماية عدد من المشاة. حاولت اسرائيل توجيه فيلق مدرعات متمركز في رفح على محاذاة الشاطىء لضرب المصريين من الوراء . فأستنجد هؤلاء بالطيران ، فمزقت قنابل وصواريخ قاذفات « توبوليف » و « السوخوي ٧ » المدرعات التي كانت تسير مكشوفة بدون غطاء جوي ، فمزقتها شر تمزيق قبل ان تحرق جنود المساندة بالنابالم . ان اسرائيل تواجه الان المصير الذي واجهته المدرعات المصرية سنة ١٩٦٧ عندما فقدت الغطاء الجوي في صحراء سيناء . كان الطيارون يشاهدون الجنود اليهود يهرولون في جميع الاتجاهات تاركين سياراتهم ودروعهم مكانها ، وفي المساء كانت الكماشة قد اطبقت من الجهات الثلاث على خط بارليف الذي بات محاصرا بعد انزال الجنود على الضفة الشرقية تجاه الاسماعيلية وعبور الدبابات البرمئية القناة واندفاعها نحو ممر ماتيلا في حركة التفاف حول القوات الاسرائيلية . ثم الاتجاه نحو بيرجيفجانة . حاول جنود العدو التمركز في اماكنهم الا

ان الجنود المصريين لم يدعوا لهم مجالا لذلك ، فقد انقضوا كالعفاريت السود داخل الخنادق والتحصينات، يذبحون الاعداء كالنعاج .

في محاولة يائسة ، قبل مغيب الشمس ، حاول اليهود شن هجوم معاكس لفك الحصار ، ففشلوا بفضل تدخل الطيران وعند غروب الشمس عرض الجنرال دافيد يوف الاستسلام مع عشرين الف من جنوده دفعة واحدة بدون قيد ولا شرط .

فأرتدت الجيوش العربية متجمعة نحو الشرق وهاجمت ما تبقى من خط بارلييف الذي فر جنوده على طريق ابو زمينا شرم الشيخ ، تتبعهم الجيوش المصرية ويفتك بهم الطيران العربي فتكا ذريعا . وعندما حل الليل على الجبهة المصرية كان قد تم تحرير ضفتي القناة على عمق ثلاثين كيلومترا . فتدفق الهجوم عند ابو زمينا ، بعد ان اقام الاسرائيليون خطا جديدا لتغطية انسحابهم نحو شرم الشيخ ثم اسرائيل .

ما ان سمع أهالي القدس ، اذاعة صوت العرب تعلن الساعة السابعة صباحا وبعد فشل الغارة الاسرائيلية على المدن العربية بدء « عملية ٥ حزيران » حتى خرجوا مع اسلحتهم وهاجموا المخافر الاسرائيلية داخل المدينة القديمة ، فقتلوا من فيها واعلنوا تحرير القدس القديمة على ايدي الفدائيين . ورفعوا العلم الفلسطيني على الجامع الاقصى واستعدوا لصد الهجوم الصهيوني ، الذي بدأ في الساعة العاشرة من القدس القديمة واللطرون معا ، نتقدمه الآليات الثقيلة وفرق من المظليين ، تساندها مجموعة من شباب « الشابرا » الصغار . فوجدوا أمامهم خطا من النار ، لم يحسبوا حسابه . فنشبت معركة بالسلاح الابيض لم يتمكن معها سلاح الطيران العربي من التدخل . فكان سطح البناية ينتقل في اقل من ربع ساعة مرارا من يد الى يد ، حتى اصطبغت طرقات القدس القديمة بالدم الاحمر . وقد استغل اليهود احترام العرب للاماكن المقدسة ، فأحتلوا الجامع الاقصى وركزوا عليه مدافع الهاون لدك القدس القديمة ، لعلمهم ان العرب لن يضربوا الجامع لا بالطيران ولا بالمدافع . الا انهم نسوا ان الفدائيين بامكانهم ان يهاجموهم ليلا بالسلاح الابيض وهذا ما فعله الفدائيون اذ تسلقوا الجدران العالية وانقضوا على اليهود

كالشياطين الحمر وهم يصرخون : فتح ... موت ... فتح ... موت ... لم يتركوا واحداً من الذين احتلوا الجامع الا وقضوا عليه ولم يرحموا الذين رفعوا ايديهم مستسلمين ، لقد دنسوا الجامع والديانات وعليهم ان يدفعوا الثمن .

اثناء ذلك كانت طلائع الجيش العراقي ــ الاردني قد وصلت الى القدس تحت جنح الظلام ، فاستقبلها الاهالي حاملين المشاعل وغير عابئين بالقذائف التي كانت تنهال عليهم من القدس الجديدة . الا ان القائد العراقي اللواء احمد لم يترك لليهود مجالا لاستغلال الظرف ، فقد أمر بالهجوم على القدس الجديدة وركز بطاريات مدافعه على جبل سكوبس وجبل المكبر فراحت تصب نيرانها على القدس الجديدة لمدة ساعتين ، بعدها هجم الجنود يساندهم الاهالي على طول الخط ، فدخلوا القدس بالسهولة التي تدخل بها المدية الزبدة بعد احتلال الضواحي الخارجية وقعوا على اول خط دفاع منظم قرب فندق الملك داوود يمتد من الفندق الى المتحف وخط ثان على بولفار « ميا شاريم » من الجهة الشرقية وخط ثالث يمتد من حديقة الحيوانات الى البرلمان الاسرائيلي أو الكنيست . فحاصر العرب الاسرائيليين ضمن هذه التحصينات وتمركزوا تجاههم بانتظار وصول المدرعات ، وبدأت عملية التراشق وجها لوجه من بعد مئتي متر تقريبا . كان اليهود محصنين جيدا ولديهم مدافع مضادة للدبابات فانزلوا الخسائر الكبيرة بالمدنيين العرب المندفعين بحماسة شبه جنونية للانتقام من حارقي الجامع الاقصى . فأمر اللواء احمد الجنود بابعاد المدنيين عن مرمى المدفعية وتمركز هو حول الحواجز يمنع وصول الامدادات الى المحاصرين وانتظر الفجر ، كي يطلب من الطيران التدخل ، وضرب القدس الجديدة بالنابالم . وقد حاول اليهود القيام بهجوم معاكس

الساعة الثانية صباحا من جهة المتحف لفك الحصـــار واخراج الاطفال والنساء وارسالهم نحو جبل هرتزل ، فتمكنوا من كسر الطوق مدة ساعتين ، فاستنجد اللواء احمد بالمدفعية وتمكن من اعادة الطوق من جديد واحكامه من جميع الجهات .

كان العريف اندريه ساحيم يتنعم بالاغتسال في مياه الحمة المعدنية في الصباح الباكر ، قبل ان يقوم بدوريته على الحدود . عندما قطعت المياه بغتة ، وسمع دوي انفجار كبيرا ، فخرج اندريه من المياه وهو يلعن الفدائيين الذين لم يتيحوا له غسل رأسه من الصابون وحمل رشاشه « اوزي » لكنه لم يتمكن من اجتياز عتبة الفندق اذ خر صريعا يتخبط بدمائه ، وقد مزق صدره طلاق رشاش .

كانت مهمة الملازم حازم مراد ، التوغل داخل الجولان ، وارشاد فرقة صلاح الدين باللاسلكي الى مواقع الدفاع الاسرائيلية ، لكن الملازم تحمس أكثر من اللزوم ودخل الحمة واحتلها على رأس خمسين جنديا بانتظار تقدم فرقة صلاح الدين .

خطة « انتقام » كانت ذات ٣ فروع : بينما تتقدم فرقة صلاح الدين من جهة المصدى ، كان اللواء ٧٠ يلف الجولان من ناحية درداره ، تسانده فرقة ٢٢ تشرين اللبنانية المتقدمة من قرية ميس الجبل وطاوسا فتلتقي الفرق الثلاث حول القنيطرة فتحتلها ثم تنحدر من الجولان الى سهل الحولة حيث تعشش المستعمرات الاسرائيلية . كانت وعورة الطرق وحقول الالغام عائقا كبيرا للواء ٧٠ ، الذي أخذ جهاز الهندسة يشق طريقا

للمدرعات وسط حقول الانغام ، الا ان جنود المساندة السوريين كانوا يسبقون آلياتهم وهم يصرخون « الموت للمعتدين » .

لم تكن عملية تطويق القنيطرة هي العمل الاساسي في الجبهة الشرقية بل كان هناك هجوم مركز من قبل الجيوش الثلاثة العراقية ـ الاردنية ـ السورية باتجاه نابلس ـ جنين . يقضي بتحرير المدينتين ثم متابعة الاندفاع للالتحام بفرقة الفدائيين التي أنزلت في ناتانيا وشطر اسرائيل شطرين . لم تلاق هذه الجيوش بقيادة الفريق أسد أية مقاومة تذكر لان الجيوش الاسرائيلية كانت تنسحب من الضفة الشرقية التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، وذلك بفضل الثورة العارمة التي اجتاحت الضفة كلها دفعة واحدة . فقطعت الطرق ونسفت الجسور وهاجمت تجمعات العدو في كل مكان . وقد قتل الكولونيل عوفر بن دافيد حاكم الخليل العسكري في الصباح الباكر . كان اندفاع الفلسطينيين نحو الموت مدهشا حقا . هاجم الفلاح سعيد بوشعر ثلاثة جنود من المظليين بفأسه ، فقتل واحدا قبل ان يخر هو صريعا برشق من رشاش . لقد تحول العرب الى ابطال لا يخافون الموت ، فاندفع الجميع يطلبون الثأر غسلا للعار الذي دام طويلا . لقد حررت المدن نفسها بنفسها ولم يتوقف المهاجمون الا مع الليل على خط الدفاع الاسرائيلي الذي كانت ركيزته تل اسحاق ـ طول كرم . فانتظرت الجيوش تزويدها بالوقود والذخيرة ، ونقل الجرحى الى المؤخرة ، قبل متابعة الهجوم في الغد بمساندة الطيران الذي يسيطر تماما على الجو .

٦ حزيران

الساعة تشير ا ى منتصف الليل في الملجأ قرب تل ابيب ، عندما دخل حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الاسرائيلي غرفة العمليات بعد زيارة خاطفة لمختلف الجبهات . اخذ فنجان قهوة من يد المجندة استير وارخى ثقله على الكرسي قبل ان يوجه كلامه الى رئيس الوزراء ووزير الدفاع موشي دايان الذي كان ينتظره بلهفة مع الجنرال رابين ووزير الخارجية آيبا ايبان وسيمون بيريز وايغال آلون وقد تحول الملجأ الى مركز للحكومة الاسرائيلية بعد سقوط القدس . انتقل الجميع الى خارطة اسرائيل الموسعة التي كانت تزين جدار الملجأ وبدأ بارليف كلامه قائلا :

– زرت جميع الجبهات وتعرضت اكثر من مرة للموت بسبب الغارات العربية وأعمال الفدائيين الذين ينشطون خلف جيوشنا . ان كل عربي أصبح فدائيا حتى العرب الذين أعطيناهم الجنسية الاسرائيلية بعد حرب ١٩٤٨ ، أصبحوا أشد المحاربين بأسا ضدنا . المهم هو ان اسرائيل بعد أول يوم من الحرب عادت الى حجمها الاساسي . لقد فقدنا الضفة الغربية كلها بما فيها القدس الجديدة التي ما تزال محاصرة وليس هناك مجال لفك الحصار عنها بدون مساعدة الطيران . ما زلنا نحتفظ بنصف شبه جزيرة سيناء لكنني أفضل ان ننسحب منها

الى جبل رامون وبير شيبا ، حيث يقوم خط دفاع قوي محصن ، ركزنا عليه قواعد لصواريخ « سام » المضادة للطائرات وحفرنا سراديب في الجبال مليئة بالذخيرة والمؤن التي تكفي لسنين ، لان تعريض قوتنا المكشوفة في الصحراء للغارات الجوية غير مناسب . وقد أعطيت أوامري بالتراجع في الليل وترك بعض الفرق من الكومندوس لحماية المؤخرة .

الجبهة الاردنية هي أخطر الجبهات بالنسبة الينا ، لانها قد تشطر اسرائيل شطرين بين ساعة وأخرى عندما يتابع العرب هجومهم بمساندة الطيران ، ان سلسلة مستعمراتنا المحصنة قد تساعدنا على الصمود لكنها لا تقدر على مقاومة غارات الطيران والنابالم .

لقد سقط الجولان ، والحولة محاصرة بعد ان احتل الجيش السوري ــ اللبناني المرتفعات ، لهذا وضعت معظم قواتنا على خط دفاع يمتد من مستعمرة داغانيا الى هاغاتا اوت . ويبقى اخطر الجبهات التي يجب ازالتها مهما كلف الامر ، وهي رأس الجسر الذي أقامه اللواء عبد الرزاق يحيا بجيش التحرير في ناتانيا ، لانه قد يكشف من خلف جميع تحصيناتنا اذا تلقى النجدة والقوة المدرعة . لهذا جمعت ما تبقى لدينا من مدرعات احتياطية أي نحوا من مئتي دبابة « شيفتين » و « باتون » وخمسين ألف جندي سيندفعون بعد ربع ساعة في ثلاثة اتجاهات مستهدفين رأس الجسر وذلك قبل ان يطلع الفجر ويهاجمنا الطيران العربي . اننا بحاجة الى انتصار يرفع معنويات جنودنا المتقهقرين ويعطينا الوقت الكافي ، كي تتدخل الدول الغربية لوقف العمليات الحربية .

وهنا قال قائد الطيران الاسرائيلي « موتي ــ هود » ان لديه نحوا من ٥٠ طائرة مقاتلة منها عشر طائرات فانتوم وسربان من الطائرات العمودية وهي مجهزة

لحرب الليل وقال انه سوف يقذفها في المعركة فورا .
بعد هذا كلف المذيع العسكري حاييم هرزوغ ان يرفع المعنويات بالتحدث عن عملية « سيف داوود » .
في تمام الواحدة من صباح ٦ حزيران ، انفجرت الجبهة الوسطى دفعة واحدة من ثلاث جهات وقد استعمل العدو جميع اسلحته الثقيلة بدون استثناء ، فضلا عن الصواريخ والمدفعية الخفيفة والطيران ، واستعمال الغازات السامة ضد جيش التحرير . بعد تحضير بالمدفعية دام ساعة ونصف ساعة اندفع جيش اسرائيل مستهدفا خطوط اللواء يحيا الذي لم يتح لقواته مجال التمركز والتحصن . فقاتل الفدائيون قتالا مستميتا متمسكين بكل شبر من الارض الفلسطينية التي حرروها في الصباح . كان البحر من ورائهم والعدو من أمامهم ولم يفكر أحد منهم بالهرب ، حاول اللواء يحيا ان يطلب النجدة ، الا ان الطيران العربي لم يكن مستعدا لقتال الليل ، كما ان المدفعية العربية كانت بعيدة عن المعركة . ارسلت اليه القيادة بعض السفن للامداد بالذخيرة ومساعدة قواته على الانسحاب الا ان الجميع رفضوا ترك خطوطهم او التخلي عن فلسطين من جديد .
في الثالثة صباحا أخذت رقبة الجسر تضيق على الفلسطينيين ، فتراجعوا نحو الشاطىء وهم يقاتلون . وكان العدو قد خسر نصف آلياته ، فاستنجد بتل أبيب التي لم تتأخر في سحب فيلق من اللد وقذفه في المعركة لانهائها قبل الصباح .
بالنسبة الى الفدائيين كان عليهم ان يثبتوا ساعتين حتى تأتيهم النجدة ، الا ان ضغط العدو قد تزايد ونفدت الذخيرة . فهاجم الفدائيون الدروع بصدورهم وبالقنابل اليدوية ، يقذفونها . الا ان للقدرة البشرية درجة احتمال معينة لا تقوى بعد نفادها على مجابهة الحديد والنار . عندما القى اللواء يحيى نظرة أخيرة الى ساعته في الثالثة

والنصف لم يكن قد بقي حوله سوى مئتي رجل على الشاطىء تتقدم نحوهم الدروع الاسرائيلية ، فطلب من المسؤول عن الاتصالات اللاسلكية ان يرسل البرقية الاخيرة الى «أبو عمار» : « لقد تحققت آمالنا ومتنا على أرض فلسطين الحبيبة ، الرجاء اعطاء الاوامر الى المدرعات والطيران بقذفنا نحن واليهود الذين حولنا بدون تمييز . انها مناسبة للقضاء على تجمعات كبيرة من الدروع والاعداء . يحيى » .

تردد ابو عمار في اعطاء اوامره الى السلاح البحري والجوي بقذف الشاطىء ، ربما بقي هناك أمل بانقاذ اللواء يحيى عند بزوغ الفجر ، أي بعد نصف ساعة ، فتنطلق النسور العربية من جديد . لكنه تلقى اخر برقية تقول :

— « اقذفوا ، ماذا تنتظرون بحق الله » .

فتحت المدرعات المصرية النار على أرض المعركة كما ان الطيران اندفع من جميع الجهات يلهب الارض بالنابالم والنار . نظر اللواء يحيى قبل ان يغمض عينيه الى النسور المنتقمة وأسلم روحه وهو يبتسم . عندما أخذ حاييم هرزوغ يتبجح بالنصر من محطة اسرائيل ، كان الجنرال حاييم بارليف يحصي الخسائر الفادحة التي تكبدها للقضاء على نزول الفدائيين الى الارض . ١٦٢ دبابة، ٤ . ألف جندي قتيل، مئة مصفحة . كان النصر باهظ الثمن جدا وقد حصل عكس ما ينتظره موشي دايان ، اذ ان تضحية الفدائيين الهبت صدور الجيوش العربية للانتقام للذين ماتوا والبسمة على ثغورهم في سبيل العودة .

كان ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات الامريكيــة «لسي. اي. اي.» يزود الرئيس نكسون كل ربع ساعة بآخر تطورات المعركة في الشرق الاوسط ، فكان وجه الرئيس نكسون يكفهر كلما سمع ان الجيوش العربية تقترب من أبواب تل أبيب . من جهة اخرى كان ادغار هوفر رئيس الاستخبارات « اف. بي. اي. » للامــن الداخلي يطلع الرئيس على تطور المفاوضات مع فدائيي الصاعقة المتمترسين حول قنابلهم الذرية . وقد اكتشف موقع قنبلتي واشنطن وديترويت واخلى العاصمة واحاط بالبناء ، الا انه كان يخاف من تنفيذ التهــديد بتفجير القنابل . عبثا حــاول تخويف الفدائيين مــن تسرب الاشعاع الذري من القنابل وانهم بجلوسهم قربها باتوا عرضة للموت بأية حالة . فكان جوابهم : « طظ » . وعندما عرض على كل واحد منهم مبلغ عشرة ملايين دولار وحماية مدى العمر ان هم استسلموا . ارسلوا ايه شيكا بعشرة دولارات كتعويض على ازعاج نفسه .

كان البوليس الامريكي يلعب مع الفدائيين لعبة القط والفأر الا انه لم يكن يعرف من هو القط ومن هو الفأر .

في هذه الاثناء اجتمع اعضاء الحكومة الامريكية لاتخاذ قرار اجماعي تجاه هذه المعضلة .

قال وزير الطيران روبرت سيمانس : كانت الغلطه الكبيرة تسليح اسرائيل بطائرات الفانتوم وكسب عداء العرب منذ البداية . والان بعد ان سبق السيف العذل ، فان افضل تصرف هو الرضوخ لمنظمات فتح وتجنب الخراب . على كل نحن لسنا بحاجة الى اسرائيل كقاعدة لانطلاق طيراننا ، حتى بعـــد فقدان قاعدة ويلس في ليبيا ، لدينا قواعد في ايران وتركيا واليونـــان وهي كافية . واسرائيل رغم كل عطفنا عليها لم تكن الصديق الوفي الذي يعطي دون أن يأخذ اقصى شيء مقـــابل عطائه . لهذا انا اصوت ضد اسرائيل وأطالب بحيـــاد الولايات المتحدة .

وقال والتر هيكل وزير الداخلية : لقد حلت كارثة بالولايات المتحدة لمجرد اخلاء المدن المعرضة للنسف من سكانها . هناك اكثر من مئتي الف ضحية الى الان ، كما اننا لا نعرف كيف نجد اماكن للسكن لاكثر من ٥٠ مليون اميركي استبد بهم الخوف وهم منتشرون على الطرقات عرضة للامراض والاوبئة . وقال جون فولبر وزير المواصلات : جميع اوتستر ادات الولايات المتحدة معطلة ، وقد توقف النقل بين مختلف المـــدن الاميركية وهذا يعني ان الاقتصاد الاميركي قد توقف دفعة واحدة وأنا أؤيد زميلي وزير الطيران وأطالب بوقوف الولايات المتحدة على الحياد . وتكلم وزير المالية السيد دايفيد كينيدي وقال : أنا أفضل التحدث بلغة الارقام : نحن نخسر يوميا بمجرد تعرض المدن الاميركية للخطر نحوا من مليار دولار ، وهذا المبلغ سوف يتضاعف مع الايام ، لان الدول الاخرى تكسب على ظهرنا الاسواق العالمية . كما ان التأخر في تحرير مدننا ينتج عنه اختلال ميزان الضرائب التي لا يمكن ان يدفعها المواطنون العاطلون عن العمل . لهذا أقول بكل تجرد رغم حبي لاسرائيل : تجب التضحية بالاصدقاء من أجل المصلحة العامة . ثم

هناك المصالح الاميركية في البلاد العربية وهذه المصالح قد نسفت واحتياطنا من البترول أخذ يخف ، وهذا يعني ان مصلحة الولايات المتحدة مع العرب لا مع اسرائيل .

هكذا اخذ وزراء حكومة نيكسون يتخلون عن اسرائيل وكلفوا السيد وليم روجرز وزير الخارجية ابلاغ الرئيس نكسون انه من مصلحة الولايات المتحدة التخلي عن اسرائيل واعلان ذلك ، حتى تعود الحياة الى طبيعتها .

عندما تبلغ الرئيس نكسون قرار مستشاريه ، ارسل في طلب السفير الاسرائيلي زوج يائيل ابنة موشي دايان وقال له :

ـ انت ادرى الناس بحب الولايات المتحدة لاسرائيل . منذ ٢٥ سنة ونحن نمدكم بالمال والسلاح ونعادي العرب الذين تربطنا بهم مصالح كبرى ، وانا بدوري اشكركم على المساعدة الانتخابية التي مكنتني من التجديد . الا ان الظروف التي تمر بها الولايات المتحدة تجعلني مضطرا الى اعلان التخلي عنكم . الرجاء تبليغ موشي دايان هذا النبأ الذي سوف اعلنه الساعة الثامنة من مساء اليوم على التلفزيون .

عاد السفير الاسرائيلي الى البيت الابيض بعد الظهر يحمل رسالة شكر من موشي دايان الذي يقدر ظروف الرئيس وهو يطلب منه أن يمنحه دفعة جديدة من الطائرات يعوض بها ما قد فقده ، حاول الرئيس نكسون ان يتهرب من هذا الطلب لعلمه ان معرفة الفدائيين به قد يعرض الولايات المتحدة للدمار . الا ان السفير الاسرائيلي وعد ، بأن تكون الصفقة سرية جدا . وذلك بأن يستلم طيارون يهود من الجيش الاميركي الطائرات من قواعد أميركية في تركيا وايران فيصبغونها بالالوان الاسرائيلية وينقلونها ليلا الى اسرائيل . وسوف يدفع يهود الولايات المتحدة سعرها فورا . تردد الرئيس

نكسون ، الا انه اذعن اخيرا وطلـب من السفير ان يسلمه رسالة سرية بتسليم المئتي طائرة في ٦ حزيران ليكون لديه وثيقة تثبت ان الولايات المتحدة ما تخلت عن اسرائيل في أحرج الاوقات .

كان أعضاء القيادة العربية وعلى رأسهم الفريق محمد فوزي ينتظرون منذ الساعة السابعة قدوم الرئيس عبد الناصر الى غرفة الاجتماعات في قصر القبة ، فبعد السيطرة الجوية على سماء الجبهة ، لم يعد الاجتماع في الملجأ واردا .

دخل الرئيس عبد الناصر ، يدخن سيجارة طويلة ، متحديا تحذير الاطباء له من التدخين ، وقال للمجتمعين وهو يضحك :

اظن ان النصر يستأهل سيجارة . كان جو الاجتماع مرحا حول خارطة الجبهات ، ولم يكن هناك سوى نقطة حزن واحدة هي خرم دبوس على الخارطة كان يحمل العلم الفلسطيني على شاطىء فلسطين ، ازاله الفريق فوزي بعد معركة « سيف داوود » .

أخذ الفريق فوزي يشرح للرئيس الموقف العسكري على مختلف الجبهات . كان جيش الجبهة الافريقية قد حرر سيناء وهو يندفع على جبهتين نحو تل ابيب ، التي أخذت تدكها الصواريخ المصرية المتمركزة قرب غزة التي حررها أهلها ، وقد توقفت القوات أمام بير شيبا وتل رامون . وتم الاتصال بالجبهة الشرقية بعد احتلال بئر السبع والعقبة التي حررها الجيش الاردني — السعودي . وقد تجمعت جيوش الجبهة كلها قبل

الاندفاع بهجوم عام نحو يافا ومحاصرة تـل رامون . بالنسبة الى الجبهة الشرقية : احتلت القوات السورية ــ العراقية الحولة وهي تتقدم نحو الناصرة . كما ان قسما من القوات الاردنية ــ العراقية يهاجم تل اسحاق وكيليكيا لشطر اسرائيل شطرين . اما القوات اللبنانية ــ الفلسطينية فقد احاطت بمدينة عكا بعد ان دمرت المستعمرات الاسرائيلية الممتدة على طول الجبهة اللبنانية وهي تصطدم الان بالجيوش الاسرائيلية قرب حيفا المشتعلة .

في القدس لا تزال المقاومة قوية وقد رفض اليهود الاستسلام . وهم يتعرضون الان لنيران المدافع التي تحرق القدس الجديدة وتحول شوارعها الى مقابر مكشوفة . وختم الفريق فوزي تقريره بقوله : اذا لم تحصل معجزة فان اسرائيل لن تثبت أكثر من ثلاثة أيام .

فقال له الرئيس عبد الناصر :

ادفع الجميع الاحتياط الى المعركة ، اريد ان انهي الحرب قبل ان يحصل علينا ضغط غربي وربما روسي ايضا ، ان الحية لا تموت الا بعد سحق راسها .

ثم انتقل الجميع الى الغرفة الثانية للاستماع الى خطاب الرئيس نكسون الذي أعلن عنه في تمام الساعة الثامنة ، مساء .

ابا ايبان

بعد ان انهى موشي دايان دراسة الوضع العسكري مع رابين وبارلييف في الملجأ المسلـــح قرب تل أبيب ، اختلى بوزير خارجيته ايبا ايبان وقال له :

« لقد حصلنا على مئتي طائرة اميركية في اللحظة الاخيرة ، والذي اطلبه منك الان هو مضاعفة هذا الرقم بأية طريقة كانت ، امامك ٤٨ ساعة لذلك . استعمل الطرق التي تريدها لتصل الى اهدافك ، عندك حساب مفتوح في كل عاصمة اوربية تقصدها ، اغرف منه مـــا تشاء ، كما انني اضع تحت تصرفك طائرة فانتوم خاصة لتنقلك بين الشرق والغرب . اريد ان اضرب الجيش العربي يوم ٨ حزيران ، ضربة ترد الينا النصر الذي بدأنا نفقده . بعد حصولك على الطائرات ، عليك بحث الدول الاوروبية والشيوعية على تأييدنا واجبار العرب على وقف القتال . اذهب وليكن اله اسرائيل معك .

استقل ايبا ايبان ومساعده « تكوه » الطائرة التي اقلعت بهما الى روما كمحطة اولى ، طلب ايبان مـــن السلطة الايطالية ان تبقي خبر وصوله سرا ، ابقاء على علاقتها الحسنة مع البلاد العربية . دفع ايبان مبلغ عشرة ملايين دولار كرشوة للقواد العسكريين والوزراء لقاء بيعه ٥٠ طائرة فيات نفاثة ، نقلت في الليلة ذاتها بعد ان طليت بالالوان الاسرائيلية وزودت بخزانـــات اضافية الى جزيرة مالطة التي حولها اليهود منذ سنة ١٩٧٠ الى قاعدة عسكرية وجاسوسية لهم ، وذلـــك

بشراء جميع أراضيها ونقل ٢٠٠ ألف يهودي مغربي اليها. وقد قامت قيامة الجامعة العربية في حينه ثم طويت القضية كالعادة اثناء وجوده في روما ، كان مساعده « تكوه » قد زود السفير الاسرائيلي بالمعلومات والاموال الضرورية لشراء الصحافة الايطالية وحملها على القيام بحملة ضخمة تندد بالعرب وتبرز الاعمال البربرية التي يتعرض لها اليهود اثناء الغزو . واعطاه صورا مزورة لجنود عرب يغتصبون الغلمان والفتيات في القدس والمستعمرات اليهودية التي يحتلونها .

بعدها طار ايبان الى بروكسل ، واستعمل الخطة نفسها وتمكن من الحصول على ٢٥ طائرة ميراج صنع بلجيكا (سنة ١٩٧٠ وافقت فرنسا على ان تنتج بلجيكا طائرات ميراج على حسابها) .

من بروكسل انتقل ايبان الى السويد فبلغها منتصف الليل ، واجتمع بالمسؤولين وعرض عليهم شراء خمسين طائرة « ساب » و « فيكنغ » يدفع سعرها فورا . وافق مجلس الوزراء على الصفقة ، وكان سفير اسرائيل في المانيا قد استأجر أكثر من مئتي طيار من المرتزقة ، فنقلت الطائرات الى مالطة فورا . وصل ايبان الى انكلترا منهوك القوى الساعة الثامنة من صباح ٧ حزيران ، فنام ساعتين قبل ان يقابل رئيس الوزراء ويعرض عليه وضع اسرائيل ، ويذكره بوعد بلفور والاموال اليهودية التي قد تساعد الليرة الاسترلينية في حال تعرضها للخطر هنا يجب ان ننوه بمجهود عملاء اسرائيل الذين جيشهم سفيرها منذ قيام الحرب . والحملات الصحافية التي تضمنت اخبارا عن الحرب في غير مصلحة العرب . وكانت الصحف منذ اليوم الاول للنزاع قد نشرت الخبر تحت عنوان على سبعة أعمدة : « عار على انكلترا أن تقف مكتوفة اليدين امام ابادة يهود اسرائيل » ، « لماذا هب تشرشل يدافع عن اليهود في وجه هتلر ويترك

احفاده اليهود أمام هتلر الثاني عبد الناصر » .. الى آخـــره .

بعد حوار استمر ساعات وافق رئيس الوزراء ووزير الدفاع على بيع اسرائيل ٧٥ مقاتلة « جاكوار » وهي احدث ما انتجته انكلترا بالاتفاق مع فرنسا التي صنعت هيكل الطائرة في تولوز . وصنعت انكلترا المحرك (رولز رويس) . وقد تطوع أكثر من طيار انكليزي — يهودي لقيادة هــذه الطائرات بفضل الاجر المرتفــع الذي عرضته اسرائيل . طبعا لم تعلم الصحافة بهذه الصفقة وقد اخذت الطائرات في اليوم نفسه (بعد وضع نجمة داوود عليها) طريقها الى اسرائيل ، مرورا بمالطة وقبرص .

بعد الظهر ، كان ايبان ضيف الرئيس بومبيدو وكان قد تحرر من سيطرة الجنرال ديغول الذي توفي سنة ١٩٧٢ ، وقد رافق ايبان الى القصر البارون غي ده روتشليد ، فوقع الرئيس الفرنسي فريسة الاغراء اليهودي الذي زين له المستقبل وأكد له التجديد . . فوافق على فك الحجز فورا عن الطائرات المحجوزة في « ايسر » قرب تولوز وعددها خمسون طائرة ، وزاد عليها ٢٥ طائرة جديدة من نوع ميراج ٥ .

وصل ايبان مـــع غروب الشمس الـــى غرفـــة الاجتماعات في الملجأ قرب تل ابيب ، مع أول سرب من طائرات الفيات النفاثـــة .

فاستقبله موشي دايان بالاحضان والدمع يترقرق من عينه الوحيدة قائلا له : لقد أنقذت اسرائيل في اللحظة الاخيرة انك أكبر واعظم سياسي اسرائيلي بعد هرتزل وبن غوريون . غدا سنطلق اسمك على أكبر بولفار في القدس ، وتتغنى فتياتنا بأسمك في المدارس . وعليك الان بتحضير الجهاز السياسي العالمي ، لينقلب على البلاد العربية . بعد النصر نرتاح اما الان فالى العمل .

٧ حزيران

كان النصر القريب قد جعل الجيوش العربية تهمل الحذر الذي لازمها بعد نكسة ٥ حزيران ١٩٦٧ . فلم تعد الطائرات العربية لدى عودتها من المعركة تنزل الى مخابئهـــا ، كمـــا أن الطياريـــن الذين لم يلاقـــوا أي مقاومة تذكر في السماء ، راحوا يختارون أهدافهم حسب ما يشاؤون فيضربون المنشأات التي تتباهى بها اسرائيل وما يطلب اليهم ضربه من قبل القوى البرية المتقدمة على جميع الجبهات .

امتطى عبد الناصر طائرة الهيليوكبتر وتفقد بها الخطوط الامامية ، فشاهد جيوشه تتقدم على جميع الجبهات ، وقد تحقق حلمه بأن يرى تل ابيب تحترق ، بعدها حط في القدس التي كانت قد سقطت .

عند مطلع الفجر بعد هجوم كبير اخترق الحصون وفتتت المقاومة واشتركت فيه الجيوش العربية والاسلامية التي حضرت بعد مؤتمر القمة الاسلامي في ٢٢ أيلول ١٩٦٩ في الرباط لانقاذ القدس ، استقبل ناصر الملك حسين والرئيس الاتاسي واللواء صالح مهدي عماش والملك فيصل واللـــواء معمر القذافي والرئيس هواري بومدين والرئيس اللبناني الامير فؤاد شهاب والملك حسن الثاني واللواء جعفر النميري والامير صباح سالـــم الصبـــاح ورئيس جمهورية تونس الجديد والسيد ياسر عرفات

نشكل وجودهم نوعا من مؤتمر القمة المصغر على أنقاض القدس التي تحترق .

بعد التهاني جلس الملوك والحكام ، على غرار ما جرى في مؤتمر يالطا يناقشون وضع العالم العربي بعد النصر . قال الرئيس عبد الناصر موجها كلامه الى السيد ياسر عرفات :

« بأسم الجميع ارحب بأنضمام الشقيقة فلسطين الى الجامعة العربية كعضو له ارضه وحدوده المعترف بها ... قاطعا بهذا الاعتراف جميع المزايدات التي يمكن ان يقوم بها بعض المجتمعين كضم فلسطين الى الاردن أو تقسيمها من جديد . واقترح الرئيس نور الدين الاتاسي اقامة وحدة عربية من الخليج الى المحيط تكون عاصمتها القدس ، وافق اللواء صالح مهدي عماش على الفكرة فورا وسانده الرئيس هواري بومدين واللواء معمر القذافي ، ولم يمانع السيد عرفات ، رغم ان جمهورية فلسطين لم تبرز الى الوجود بعد . فأعترض الرئيس اللبناني على الفكرة مبدئيا ، لا لكونها تحقق الاحلام العربية ، بل لانها متسرعة وقال انه ينبغي للرؤساء العرب ان يدرسوها جيدا قبل اعلان الوحدة ، وقد ذكر المجتمعين بالوحدة المصرية ــ السورية في الخمسينات وكيف فشلت بسبب الاقتصاد المصري السوري المختلف. فوافق الرئيس عبد الناصر على الاقتراح اللبناني قائلا :
ــ الان ليس وقت البحث في الوحدة ، بل ينبغي البحث في مصير الثلاثة ملايين يهودي الموجودين في فلسطين . اننا لا نقدر ان نقتلهم ولا ان نطردهم دفعة واحدة والا قام الرأي العام العالمي علينا ، عندما نرد الارض المغتصبة الى سكانها الاصليين سوف يصبح اليهود لاجئين في فلسطين وعلينا ان نجد للموضوع حلا .

فقال السيد ياسر عرفات : لقد صرحت في الماضي بأن اليهود الغربيين الذين حضروا الى فلسطين بعد

الهدنة عليهم مغادرة الديار اما الشرقيون فسوف يبقون ويتمتعون بالحقوق التي يتمتع بها الفلسطينيون طبعا بعد تركهم الديار المغتصبة التي يحتلونها حاليا . قطع حديث ياسر عرفات ، دخول الحاجب يحمل برقية تنبىء بسقوط طول كرم وكلكيليا بيد القوات الاردنية ـــ العراقيةوانفتاح طريق البحر امام القوات العربية التي اندفعت تشطر فلسطين المحتلة شطرين . بعدها تلقى اللواء شهاب برقية تعلن استسلام عكا وانفتاحطريق حيفا أمام الجيوش اللبنانية ـــ الفدائية .

واكمل الرؤساء العرب اجتماعهم دون أن يبتوا مصير فلسطين والبلاد العربية ، وقد اخذوا بنظرية الرئيس اللبناني القائلة بأن افضل بداية للوحدة بعد النصر ، هي انشاء السوق العربية المشتركة ، ثم اقامة وحدة اقتصادية وعملة موحدة توطئة للوحدة الشاملة ، بعد اطمئنان الدول العربية الى بعضها البعض . واقترح الملك فيصل اعادة الخلافة التي تساعد على جمع شمل ٦٠٠ مليون مسلم في العالم وذلك يؤلف وحدة روحية ودينية قوية ، تصبح اذا انضمت الهند اليها القوة الثالثة في العالـــم .

في المساء عاد رؤساء الوفود الى بلادهم بعد ان تواعدوا على اللقاء في تل ابيب عما قريب . وقال لهم السيد ياسر عرفات قبل ان يغادروا القدس :

ـــ ان العدو الصهيوني ، حية رقطاء ، فلا ندع النصر ينسينا قتلها جيدا . لقد وصلتني برقية من احد جواسيسنا في حيفا عن تحركات مريبة وحركة طيران قوية . كما ان برقية ثانية من روما تقول : ان ابا ايبان قد مر هناك بالامس . انني اطلب من زملائي الحكام اليقظة والحذر . على كل بالنسبة الي فلن ادع الاحداث تفاجئني وقد حضرت للعدو مفاجأة لا يحلم بها .

ضحك الملوك والرؤساء وقال له احدهم : يظهر ان جاسوسك في تل ابيب يظن ان طائراتنا هي طائرات عدوة . والا فمن اين لاسرائيل الطائرات وقد دمرناها كلها في الخامس من حزيران ؟

جريا على عادته كان ميخائيل سوسلوف آخر من دخل غرفة الاجتماع الكبيرة في قصر الكرملين وما ان اكتمل النصاب حتى افتتح الرفيق برجنيف الحديث ملخصا بهذه الكلمات محور الاجتماع :

ــ حسب المعلومات السرية التي وصلتنا من مخابراتنا وعملائنا في العالم ، ان اسرائيل تعد للعرب ضربة قوية قد تجعل النصر ينتقل من ايدي العرب الى ايدي اليهود . لقد سجل رادار اسطولنا المنتشر في البحر الابيض المتوسط وصول دفعات كبيرة من الطائرات قادمة من اوروبا ، يقدر عددها بنحو مئتي وخمسين طائرة وهي متجهة نحو مالطة ونحو القاعدة الانكليزية في قبرص ، كما أن هناك حملة صحفية عالمية ضد العرب قد تجعل الحكومة الانكليزية تميل الى مساعدة اسرائيل في اللحظة الاخيرة بارسال مظليين . ان العرب الذين اسكرهم النصر ، هم على وشك الوقوع في الفخ الذي نصبته لهم اسرائيل اذا لم ننبههم ونحذرهم . والسؤال الان هو : هل من مصلحة الاتحاد السوفياتي ان ينتصر العرب . او ان مصلحته في ان يظل العرب منهزمين ليظلوا بحاجة الى سلاحنا ؟ الرجاء اعطاء الرأي باختصار لان الوقت قصير وعلينا أن ننبه العرب الليلة وقبل فوات الاوان .

تكلم الرفيق سوسلوف مفلسفا فكرته : « من مصلحة روسيا ان يخسر العرب الحرب . لان العربي غني ، والغني لا يعتنق الشيوعية . ان البلاد العربية التي تقارب مساحتها مساحة الصين والهند معا لا يزيد عدد سكانها على ١٢٠ مليون نسمة ، بينما بامكانها ان تضم مليارا . ان البترول هو سلعة غربية لا روسية . فنحن والعرب مصالحنا متناقضة ولا يمكن بالحقيقة ان نستفيد منهم سوى ببيعهم السلاح الذي يدفعون ثمنه بالنقد النادر الذي يعطيهم اياه الغرب مقابل البترول . لهذا ارى ان تهمل روسيا تنبيه العرب الى الخطر الذي يحدق بهم » .

بعدها قال الكسي كوسيغين : « كسبنا حتى الان سوريا والعراق وليبيا والسودان ومصر والجزائر وتونس فانضمت هذه الدول الى صف العالم الاشتراكي وهي تؤلف أكثر من نصف دنيا العرب . ولا اظن ان هذه البلاد الاشتراكية سوف تنقلب بين ليلة وضحاها الى بلاد امبريالية . فالنصر العربي سوف يمكن الانظمة الاشتراكية من القول انها صاحبة الفضل في تحرير البلاد العربية ، وانها ما كانت لتتوصل الى ذلك لولا السلاح الروسي ، اما انتصار اسرائيل فانه يعني انهيار جميع الانظمة الاشتراكية التي سوف يراها الشعب ، غير جديرة بالحكم . ان العقلية العربية لا تؤمن بغير النتائج .

انني اتصور عودة الملكية الى البلاد العربية وكيف ستلاحق الانظمة الاشتراكية بالنار والحديد . وكما يقول المثل العربي: الكحل افضل من العمى. فعلى روسيا ان تنبه العرب الى ما ينتظرهم وانقاذ النصر الذي كلفنا حتى الان اكثر من ٥ مليارات روبل » .

بعد كوسيغين قال شليبين : انني أؤيد نظرية الرفيق كوسيغين ، لان اسرائيل اذا انتصرت لن تتوقف عند

حدود معينة . وهذا يعني ان النفوذ الاميركي سوف يمتد من جديد الى العالم العربي كله ، وتفقد بذلك روسيا الموانىء الدافئة التي حاربت من أجلها منذ عهد القياصرة . أيها الرفاق لا يجوز لنا في ساعة غضب ان ننسى اننا ، بفضل العرب الذين اشتهروا بحفظهم للجميل وصلنا الى البحار الدافئة ومن يدري فقد نحالف يوما ما أمة عربية قوية ، ضد الولايات المتحدة والصين .

بعد ان اعطى كل واحد من أعضاء البريزيديوم رأيه ، أحصيت الاصوات ، فكان ثلثا الاعضاء مؤيدين للعرب . عندئذ كلف الرفيق بريجنيف ابلاغ السفراء الروس في البلاد العربية وجوب تنبيه القواد الى وصول الطائرات الاسرائيلية الجديدة ، الى مالطة وقبرص ، وضرورة تجنب تكرار عملية ٥ حزيران ١٩٦٧ .

٨ حزيران

كان اللاجئون اليهود يتدفقون بالالوف على تل أبيب ويافا وهذا ما عرقل وصول الميجر اسحاق بن اري الى الملجأ الذي اتخذ منه موشي دايان مركزا للقيادة . كان حضور الميجر اري مع سائر قادة الوحدات الاسرائيلية ضروريا هذه الليلة . بعد ان شطر العرب اسرائيل شطرين وراحوا يدقون ابواب المدن الثلاث الكبرى . ما ان استقر قادة الوحدات التي ما تزال تقاوم الهجوم العربي في غرفة العمليات ، حتى خاطبهم موشي دايان قائلا :

— بين يدي كل واحد منكم ظرف ضمنته الشرح الوافي لخطة « العقرب » التي ساعدنا نجاحها على تثبيت اقدامنا اكثر من نصف قرن في فلسطين والا كان مصيرنا الفناء . ان العرب لا يرحمون الذي تمرجل عليهم وكسر شوكتهم وتحداهم أكثر من ربع قرن . الساعة الان الواحدة صباحا . في تمام الخامسة سوف يشن طيراننا غارة كبيرة على جميع المطارات العربية والمدن الكبرى وتجمع الآليات . وكما حدث سنة ١٩٦٧ لن يقف العرب على أقدامهم بعد الضربة الاولى . اعرف ان البعض يتساءل من أين لنا الطائرات وقد قضى العرب على اسطولنا الجوي منذ ثلاثة ايام ؟ لقد تمكنا من اعادة اسطولنا الجوي تقريبا كما كان بفضل ديبلوماسية

ابا ايبان وأموال يهود العالم الذين وضعوا أملهم الاخير بهذه العملية، فاما النصر او فناء اسرائيل. بالنسبة الى الجبهتين ارسلت الجنرال رابين ليقود الجبهة الشرقية والجنرال آلون لقيادة الجبهة الغربية . وبعد السيطرة على الاجواء العربية يجب أن تقوم الفرقة ١٧ والفرقة ٩٠ من الجبهة الشرقية بهجوم ، تسانده مئة وعشرون دبابة هي اخر الاحتياط الذي وضعناه حول حيفا ، في اتجاه الشاطىء لقطع الجيش الاردني ــ العراقي الذي وصل الى البحر . بينما يقوم آلون بهجوم تسانده مئتا دبابة ومصفحة هي ايضا اخر احتياط موضوع لحماية تل أبيب ويافا . يبدأ الهجوم البري والهجوم الجوي في آن معا . هكذا نضرب العرب من جميع الجهات دفعة واحدة . وسوف يشرح لكم الجنرال « موتي ــ هود » خطة الهجوم الجوي .

وقف « موتي » شاحب اللون ، برغم انتعاش أمله بنصر جديد على طراز نصر حزيران ١٩٦٧ . كان يعرف انه في حال النصر لن يبقى في مركزه كقائد لسلاح الطيران ، وقد استبقاه موشي دايان في مركزه لانه يمت اليه بصلة القربى ، ولان « موتي » يعد الوالد الروحي والصديق لضباط الطيران الذين تخرجوا منذ ٥ سنوات ، قال موتي :

« الطائرات الاميركية وعددها مئتان جاهزة للعمل ، فقد اشترطنا على الرئيس نكسون ان يسلمنا اياها صباح اليوم من القواعد الاميركية في ايران وتركيا ومن حاملة الطائرات الاميركية في البحر الاحمر . في الساعة الخامسة ستندفع هذه الطائرات من قواعدها الاميركية وهي تحمل نجمة داوود . فتهاجم اسراب المطارات السورية والعراقية والاردنية ، وتندفع أسراب اخرى من حاملة الطائرات لتضرب المطارات المصرية والسودانية معا حول السد العالي . ان العدو لن ينتظر

ان نهاجمه من الشرق ، لهذا لن يأخذ احتياطاته وستكون المفاجأة مئة بالمئة .

أما القسم الثاني من طيراننا الموجود في مالطة وقبرص وعلى متن حاملة طائرات الاسطول السادس ، فسوف يندفع نحو مطارات القليعات والرياق وبيروت وحمص وحماه واللاذقية ، ومطارات وادي النيل والاسكندرية ، يسانده ما تبقى عندنا من طائرات نفاجىء بها تجمعات العرب في الاراضي التي احتلوها . هكذا يتلقى العرب الضربات من جميع الجهات ، وقد وصلتنا من جواسيسنا أخبار تفيد أن العرب لم يعودوا متيقظين بعد دخولهم فلسطين . وكما تعلمون كل خميس من أول الشهر يسهر العرب على صوت أم كلثوم من الخليج الى المحيط في حفلة تدوم الى مطلع الفجر وقد أعدت لهم كوكب الشرق اغنية جديدة اسمها « النصر » من تأليف الشاعر اللبناني « جورج جرداق » وهذا ما يساعدنا على اتمام الغارة على صوت ام كلثوم .

بعد « موتي ــ هود » تكلم الجنرال بارليف رئيس الاركان ، فحث الجميع على تنفيذ خطة « العقرب » بدقة لانه يتوقف عليها مصير العودة الى القدس .

في الثالثة صباحا التحق الجميع بقطعهم وهم اشد ما يكونون حماسا ، لقد أعادت خطة « العقرب » اليهم الامل بالنصر بعد أن لاح لهم شبح الهزيمة .

بعـــد خطـــاب الرئيس نكســـون ووعـــده للعرب وللفدائيين ، بتخليه عن اسرائيل والقضية اليهودية ، اذا عدلوا عن تدمير المدن الاميركية ، تلقت منظمة «فتح» وعدا بتسليمها شيكا بقيمة مليار دولار تدفع في سويسرا وهذا المبلغ هو التعويض الاميركي عما لحق اللاجئين من غبن طيلة ٢٥ سنة من التشرد والعيش في الخيام . وبالمقابل يوافق الفـــدائيون على تسليم قنـــابلهم الى السلطات الاميركية فورا . وبعد التسلم والتسليم تعترف الولايات المتحدة بالجمهورية الفلسطينية فورا .

في تلك الاثناء كان السيد هوفر رئيس الاف. بي. آي. قد نقل الى الرئيس نكسون خبر محاصرة الاماكن الستة التي توجد فيها القنابل الهيدروجينية . فطلب منه الرئيس نكسون عدم مهاجمة الفدائيين كما اطلعه على الشروط التي قبل بها مقابل انقاذ المدن الاميركية . ولكن قبل مغادرة الفدائيين الولايات المتحدة استقبل الرئيس وفدا من « الاسلام السود » الذين ساندوا الفدائيين ، وقد جاء الوفد يطالب بالانفصال عن الولايات المتحدة واقتطاع كل من ولايات فرجينيا وكرولينا وجورجيا والبانا واللوزيانـــا ، وجعـــل هذه الولايات جمهورية خـــاصة بالسكان السود في الولايات المتحدة ويبلغ عددهم ٢٥ مليونا . وقد اطلقوا على جمهوريتهم الجـــديدة اسم « فلسطين الجديدة » او « نيو بلستين » تيمنا بولادة

فلسطين العربية من جديد .

كان الرئيس نكسون في وضع لا يحسد عليه فهو عرضة لثورة داخلية اذا بقيت المــدن الاميركية عرضة للخطر ، كما ان انتصارا اسرائيليا جديدا بفضل السلاح الاميركي ، سوف يحمل الفدائيين على تفجير قنابلهم . وكان قد وصل الى البيت الابيض من السي.اي.آي. تقرير عن رحلة ابا ايبان وخطة « العقرب » التي تعدها اسرائيل . وفي غياب المجلس التشريعي ، اتخذ الرئيس نكسون اخطر قرار يمكن ان يتخذه رئيس اميركي وهو اعلان انفصال الولايات الخمس عن الاتحاد والاعتراف بالجمهورية الفلسطينية الجديدة شرط ان يرحل الفدائيون ومعهم قنابلهم في اليوم نفسه . وهو يضع تحت تصرفهم طائرته الخاصة تنقلهم الى حيث يشــاؤون . فوافق الفدائيون على مغادرة المدن الاميركية بعد أن عهدوا الى « القوة السوداء » بمهمة حراسة القنابل الى ان يصلوا الى أوطانهم .

عندما أعلن راديو « الان. بي. سي. » في نيويورك عن الاتفاقية الجديدة تنفست الولايات المتحدة الصعداء ، وانتشرت النــاس في الطرقــات ، بين أبيض يغــادر المقاطعات التي اقتطعت للزنوج واسود يغادر المقاطعات البيضاء متجها نحو جمهوريته الجديدة . ونسي الجميع وسط الهرج والمرج ما يجري في فلسطين .

نام الطيار حازم ابو الغوش تحت جناح طائرته قرب راديو الترنسستور على أول مدرج من مدارج مطار الحبانية ليرتاح قليلا بعد السهرة الطويلة التي أمضاها مستمعا الى كوكب الشرق . كل شيء جاهز في طائرته الميغ ٢١ . كانت مهمته هذا الصباح ، مساندة القوات العراقية ــ السورية المتقدمة على طريق الناصرة ، وحماية الاجواء من هجمات المقاتلات الاسرائيلية التي كانت تغير بصورة متقطعة على القوافل ، ثم تعود الى قواعدها تحت الارض . لم تكن هذه الغارات الافرادية تؤثر على تقدم الجنود ، الا انها كانت مزعجة ، لهذا كان هناك حماية جوية دائمة فوق كل قافلة ، خصوصا قوافل الذخيرة والوقود .

استيقظ الطيار حازم مذعورا على صوت انفجار قوي هز طائرته ، فنظر نحو حظيرة الطائرات فشاهدها تشتعل والجنود يعدون في كل الاتجاهات طالبين النجدة نظرة واحدة الى السماء اعطته فكرة عن مدى الغارة ، كان هناك أكثر من عشرين طائرة اسرائيلية تحوم وتنقض على مختلف الاهداف . قفز حازم الى طائرته وهو لا يصدق ما يشاهده . كيف وصلت هذه الطائرات الى بغداد التي تبعد مئات الاميال عن الجبهة ، ثم كيف باغتت المطار وقد مرت فوق مختلف الجبهات ؟

اندفع بطائرته بقوة موجها مقدمها نحو السماء ، حتى أصبح بعد عشر ثوان على علو عشرين ألف قدم ، فوضع ظهره في اتجاه الشمس وانقض كالصاعقة على أول طائرة شاهدها أمامه ، فمزقها ، ثم اتجه يسارا وتبع طائرة « فانتوم » كانت تضرب طائرة عراقية جاثمة على أرض المطار ، وما ان وضع يده على الزر الذي يطلق الصاروخ الموجه حتي اهتزت طائرته وترنحت لاصابتها بصاروخ طائرة عدوة لحقت بها ، فهوى مع عدوه الى الارض .

على جميع الجبهات كانت المفاجأة شبه تامة ، ذلك انه برغم التحذير السوفيتي في الساعة الثالثة صباحا ، لم يأخذ قادة الطيران العرب احتياطاتهم ، واكتفوا بالتيقظ على الجبهات الامامية ، لانهم لم يكونوا ينتظرون بعد تدمير الطيران الاسرائيلي في اليوم الاول ، والسيطرة التامة على الاجواء ، ان يولد طيران العدو من جديد على هذا الشكل ويهاجمهم في المطارات البعيدة ، وها هم يدفعون الثمن غاليا مرة اخرى .

أيقظ الفريق فوزي الرئيس عبد الناصر في الخامسة والربع ، ليخبره ان المطارات العربية تتعرض لهجوم كبير من قبل مجموعات كبيرة من الطائرات ، وان الخسائر فادحة . اول ما خطر على بال عبد الناصر هو ان الولايات المتحدة قد نكثت بوعدها الذي قطعته للعرب بعدم التدخل . فاتصل بالسفير الاميركي ، الذي بدوره اتصل بواشنطن ، وأبلغ الرئيس عبد الناصر في الساعة السابعة ان واشنطن ما تزال عند وعدها وليس لها علم بالهجوم . فاتصل الرئيس عبد الناصر بالرؤساء العرب الذين ابلغوه نتيجة الغارة الاسرائيلية المفاجئة والخسائر الفادحة التي تعرضوا لها . طلب الرئيس عبد الناصر عقد اجتماع فوري في القاهرة لمختلف القواد العرب الذين حضروا في الساعة الواحدة بعد

الظهر . وبعد ان بيّـن كل منهم ما تبقى عنده مـن طائرات ، وجد المجتمعون أن الطيران العربي قد فقد اكثر من نصفه ولم يبق سوى ثلاثمئة طائرة صالحة للقتـال وحماية مختلف الجبهات . فطلب عبد الناصر النجدة من المغرب وليبيا والسعودية والجزائر والسودان فأرسلت فورا اخر احتياط لديها فارتفع العدد الى نحو ٤٠٠ طائرة مقابل العدد نفسه تقريبا لدى اسرائيل ، بعد ان اطمأن ناصر نوعا الى التعادل الجوي ، اوفد وزير خارجيته محمود رياض الى موسكو لطلب مئتي طائرة ميغ ٢٣ ، فورا وتسليمها الى أقرب مطار عربي ، ثم عاد الى خارطة الجبهات البرية .

فقال الفريق عمـاش ان قواته اضطـرت الى التراجع بعد وصولها الى البحر ، لتعرضها لهجوم قوي تسانده الطائرات وقد تمركز الان حول الناصرة بانتظار الامدادات . وأعلن اللواء أسد ان الجيش السوري لا يزال يحتفظ بمدينة صفد الا انه يتعرض الان لهجوم قوي برا وجوا . لكنه لن يتراجع مهما بلغت الخسائر . أما الجبهة اللبنـانية فانها لم تكـن أفضل من سـائر الجبهات ، الا انها لم تتراجع خطوة عن النقاط التي وصلت اليها ، وقد استبسلت القوات في الدفاع عـن الارض ، متمركزة على الطريق الممتد من مجدل كروم الى عكا لكنها تخشى في حال تراجع القوات السورية ان يلفها العدو ويطوقها في عكا ، لهذا اخذت تتراجع من مجدل كروم نحو كفر سميع . أما الجيوش المصرية فقد حافظت على الخطوط التي وصلت اليها والتي تمتد مـن اللطرون الى النبي يونس على البحر . كما ان هناك قوات مصرية ـ سودانية تحاصر تلال رامون في النقب ، حيث تحتشد قوات اسرائيلية كبيرة في وادي الرمان .

وحسـب معلومـات الـرئيس عبـد النـاصر عـن خطط موشي دايـان ، سيستغـل وزير الدفـاع

الاسرائيلي التضعضع العربي ، ليجمع قواه ويقذفها على جبهة واحدة ومرة واحدة ، تاركا بقية الجبهات في عهدة حماية بسيطة . والان وقد توحدت جبهاته من جديد ، فسوف يهون عليه نقل جنوده من جبهة الى جبهة . بقي ان نعرف الجبهة التي يختارها للهجوم الحقيقي .

عندما وصل عبد الناصر بتفكيره الحربي الى هذه النقطة طلب تجهيز فرقتين مدرعتين في كل جبهة تكون تحت تصرف الجبهة التي تتعرض اكثر من غيرها للضغط، ثم اتصل «بأبو عمار» الذي حضر الساعة السابعة مساء، فاختلى به في مكتبه زهاء ساعتين ثم رافقه الى المطار .

لم ينم موشي دايان أكثر من ساعتين ولما استيقظ ابتلع حبة بنزيدرين وهو عقار منشط وطلب وزير خارجيته ابا ايبان الى الملجأ الذي اختاره لقيادة الحرب . وقال له بعد أن قبله :

ــ نجحت خطة « العقرب » اكثر مما كنت انتظر ، انني بعد اربعين سنة من العيش في البلاد العربية اخذت اعرف العقلية العربية ، العرب يخافون اخذ المبادرة في أي شيء ، وذلك بسبب الاستعمار الذي خضعوا لـــه منذ الغزو العثماني . وعقلية العربي لم تتغير في هـــذه الايام ، انهم يحبون التشكي ووضع اللوم على الاخرين بانتظار ان ينصفهم التاريخ . ولا يستثنى من ذلك سوى الفدائيين . لهذا اريد منك مجهودا اخر اكبر من الاول . المال موجود بكميات هائلة . اريدك ان تقيم جسرا جويا بين اسرائيل وعواصم العالم لنقل مئتي الف جندي مـــن المرتزقة ، اعرض الف دولار على الجندي في الشهر ، جند سفارات اسرائيل في العالم كله . ان الجمعيات اليهودية مستعدة لان تدفع ما تطلبه من مال لكنها لا تريد ان ترسل الرجال . الجنود اريد ان يكونوا هنـــا في اسرائيل قبل العاشر من حزيران ، لاقذف بالفرق الجديدة على الجبهة المصرية دفعة واحدة . ان انهيار مصر ، يعني انهيار الجبهات الاخرى . وبالنسبة الينا مصر هي

حجر الاساس في نظام الدفاع العربي . استأجرنا جميع طائرات العالم الحر المدنية وهي في مطاراتها تنتظر شحناتها البشرية . هذه المرة لن اقف قبل ان اركع عبد الناصر واجبره على توقيع السلم الحقيقي الذي نريده . ان الحملات الصحافية التي تقوم بها الصحف الصهيونية بدأت تعطي ثمارها . احرق المتظاهرون معظم السفارات العربية في باريس ولندن وبروكسيل وبون ولاهاي وروما . وهناك اكثر من نائب في المجلس الفرنسي يطالب بارسال جيوش فرنسية لمحاربة هتلر العرب . خذ معك مجموعة من الصور المزورة عن المجازر التي يتعرض لها شعبنا ووزعها على الصحف . ان العرب اعمتهم نشوة النصر ، فنسوا الاعلام والدعاية .

بعد خروج ابا ايبان ، دخل القواد العسكريون باسمي الثغور ، فاجتمعوا حول خارطة المعركة ، ليتلقوا اخر التعليمات ، قال لهم موشي دايان :

« المهم الان هو ضرب العدو وتكبيده خسائر فادحة بانتظار ١٠ حزيران ، لتنفيذ خطة « البساط الاحمر » لان الارض العربية سوف يغسلها الدم . عند وصول المئتي الف جندي من المرتزقة سنقذف بهم في الجبهة المصرية ، مستعملين مخطط هجوم ١٩٥٦ ، لقذف المصريين الى قلب سيناء ، وسحقهم بالطيران ، ثم نرتد نحو الجبهة السورية اللبنانية واخيرا نحو الجبهة الاردنية العراقية فنحتل الضفتين الشرقية والغربية من نهر الاردن » .

كان موشي يتحدث وكأن النصر قد أصبح ملك يديه .

كان الرئيس نكسون يلعب مع حفيده دويت ، عندما دخل عليه السيد ادغار هوفر رئيس المخابرات الاميركية وهو يرتجف ، فبادره الرئيس نكسون :

ــ هل انفجرت احدى القنابل الذرية ؟

ــ هناك ما هو أدهى !

ــ لا أحب الالغاز .

ــ لقد بلفنا الفدائيون . لم يكن هناك اي قنبلة ذرية في الشقة التي سلمنا اياها الزنوج .

ــ أخذ الزنوج القنابل معهم ، ليهددونا بها ؟

ــ لم تخرج أية قنبلة من العمارة ورجالي يراقبونها ليلا نهارا .

ــ اذا ...

ــ كان هناك هيكل قنبلة فارغة في داخلها هذه الورقة .

تناول الرئيس نكسون الورقة بعصبية ، وقرأ : « مع أطيب تمنياتي من فلسطين » . التوقيع : أبو عمار .

كاد الرئيس نكسون يصاب بانهيار عصبي ، لو لم يسعفه هوفر بكوب ماء وحبة دواء مهدئة للاعصاب .

ظلت الورقة بين يدي الرئيس الاميركي مدة خمس دقائق وهو ينظر اليها ، قبل ان يخبره هوفر ان في جيبه خمس ورقات مشابهة تحمل العبارة ذاتها .

ــ بكل بساطة ضحك علينا الفلسطينيون وكادوا يسببون خراب الولايــات المتحدة . لكن اين القنــابل الحقيقية ؟

ــ هذا ما احاول ان اعرفــه بمساعدة زميلــي ريتشارد **هيلمز رئيس السي. اي. آي .**

ــ وأخبار اسرائيل ؟

ــ صد الاسرائيليون الهجوم العربي وهم الان يستعدون للجولة القادمة فاذا ساعدناهم يصبح انتصارهم محققا .

ــ ارسل لهم المساعدة التي يريدونها ولكن سرا . لا أريد أن اصبح موضع سخرية العالم . كما ان قصة القنابل الفارغة اريدها ان تبقى سرا بيني وبينك فقط ، والا ثارت علينا الجماهير وانقلب تمجيدها لنا لعنة أبدية وذلك لاننا تنازلنا عن خمس ولايات ورفضنا مســاعدة اسرائيل ، سوف اجتمع مع المسؤول عن الصحافة في البيت الابيض واوعز اليه باذاعة بيان عن زوال الخطر عن الولايات المتحدة وعودة العمل الى سابق عهده .

٩ حزيران

اجتمع ابو عمار بقواد جيشه في احدى المغاور ، في سفوح جبل الشيخ وقد اختار هذا المكان لاسباب عاطفية واستراتيجية . اذ ان هذه المغاور كانت مركزا لانطلاق الفدائيين نحو اسرائيل سنة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . وقد جعل لها الفدائيون ابوابا سرية واقاموا فيها مستودعات كبيرة ومستشفيات مجهزة بأحدث الادوات الطبية .

جلس ابو عمار كعادته على الارض وبين رجليه رشاشه وعلى خصره مسدسه الكولد — سميث . وقال موجها كلامه الى « أبو حسين » .

— قابلت بالامس الرئيس عبد الناصر مطولا ، وقد شعرت انه متخوف من نتيجة الحرب ، بعد ان توقف الهجوم العربي ، لان اليهود يستفيدون من الفرصة لتجديد قواهم ، تماما مثلما حصل سنة ١٩٤٨ . وقد ابلغنا السفير الروسي ان اسرائيل تستأجر المرتزقة بأعداد هائلة من أوروبا ، كما ان هناك جسرا جويا لا يتوقف ثانية بين مختلف العواصم الاوروبية واسرائيل ، وقد وافقت روسيا على منح عبد الناصر مئتي طائرة ميغ ٢٣ . الا ان هناك نقصا في الطيارين . وروسيا لا تقدر ان تعطيه طيارين لئلا تعتبر الولايات المتحدة وجود طيارين روس في سلاح الجو العربي تدخلا في الحرب

فتتدخل هي بدورها وتنشب الحرب العالمية الثالثة .
وأضاف ابو عمار : عبد الناصر يحاول ان يقوم اليوم بهجوم كبير يقرر مصير الحرب ، فأما النصر أو عقد صلح يدفع العرب ثمنه ضياع فلسطين الى الابد .

وتابع ابو عمار :

ـ سأدفع بجميع قوانا الى المعركة لمساندة الجيوش العربية ، الا انني غير مرتاح الى الغرب الذي ما يزال رغم كل ما بذلنا من دعاية ، يميل الى اسرائيل . لهذا اقترح عليكم تنفيذ خطة « جهنم » غدا صباحا في حال فشل الهجوم ، فاما ان تكون فلسطين لنا ، أو لا تكون لاحد .

تشاور القواد فيما بينهم ثم وافقوا على اقتراح ابو عمار وتفرقوا .

كان السفير الروسي في القاهرة قد نقل الى عبد الناصر معلوماته عن الاستعدادات الاسرائيلية الكبيرة ، وقال ان الجبهة المصرية ستكون الهدف الاول للهجوم . ان التاريخ يعيد نفسه ، ففي سنة ١٩٤٨ وكان ناصر ضابطا برتبة مقدم ، هوجم في « العوجا » وارتدت الجيوش اليهودية كلها على الجبهة المصرية المتقدمة . وفي سنة ١٩٥٦ أيضا هاجمت اسرائيل مصر بمساندة فرنسا وانكلترا . وفي سنة ١٩٦٧ ، القت اسرائيل قوتها على الجبهة المصرية وحدها قبل ان ترتد على الجبهات الاخرى . وبفضل عدم وجود التنسيق بين مختلف الجبهات ، تمكنت اسرائيل بالغدر من الوصول الى قناة السويس ، ولهذا يجب ان يسبق ناصر اسرائيل بالضرب ويهاجمها قبل أن تهاجمه . اتصل بقواد الجبهة الشرقية وطلب منهم ان يدفعوا الى الجبهة بكل قواهم في تمام الساعة الواحدة ، مستعملين الفرق الاحتياطية وكل ما لديهم من قوى لدحر اسرائيل بأية وسيلة .

لم تكن الاجوبة التي تلقاها من مختلف الجبهات مشجعة . جبهة تريد ان تثبت خطوطها قبل البدء بالهجوم ، وجبهة تنتظر الذخيرة التي لا يمكن شحنها قبل هبوط الظلام بسبب الغارات الاسرائيلية المتواصلة . ولم يلب طلب عبد الناصر سوى الجبهة اللبنانية — الفلسطينية التي استعدت للاندفاع نحو حيفا .

في تمام الواحدة بعد الظهر اندفعت المدرعات المصرية نحو الخطوط الاسرائيلية ، تتقدمها عاصفة من الحديد والنار . فتراجع اليهود امام الضغط المصري ووصل الفيلق المدرع المندفع من النبي يونس في محاذاة الشاطىء الى نهر روبين الصغير أي على بعد عشرين كيلو مترا من يافا ، كما ان الفرقة المدرعة « عبد المنعم رياض » وصلت الى الرملة التي تبعد ١٧ كيلومترا عن تل ابيب وتوقفت أمام عنف الغارات الجوية الاسرائيلية ونيران الصواريخ . عبثا حاول المصريون تغطية هجومهم من الجو ، فاليهود كانت مطاراتهم اقرب . فسحب موشي دايان جميع احتياطه من الجبهة الشرقية وقذفه في المعركة لصد الهجوم المصري لان المهاجمين كادوا يطبقون على يافا وتل ابيب واعطى أوامره الى الجنود بأن يموتوا في اماكنهم ولا يتراجعوا .

على الجبهة اللبنانية ــ الفلسطينية اندفعت في تمام الواحدة مدرعات فيلق ٢٢ تشرين الثاني على محاذاة الشاطىء ، فكبدت العدو خسائر فادحة ، ووصلت الى ضواحي حيفا ، وركزت مدفعيتها المتنقلة ومدفعية الدبابات على بعض المرتفعات وراحت تقذف المدينة بحممها ، بينما كان الجناح الثاني من الجبهة يتقدم ، مكتسحا المستعمرات اليهودية واحدة تلو الاخرى غير عابىء بحماية مؤخرته ، الى ان وصل الى كوكب ، حيث توقف بدوره لفقدان الذخيرة ولصد الهجوم المعاكس الذي شنه الجنرال رابين في اللحظة الاخيرة .

وعند حلول الظلام كان العرب قد اطبقوا تماما على المدن الاسرائيلية كما ان الجيوش العراقية ــ الاردنية ــ السورية قد اتمت استعداداتها لدخول المعركة في الليل ولم يبق لاسرائيل سوى مساحة من الارض تمتد من حيفا الى يافا عمقها يراوح بين عشرة وعشرين كيلومترا ، وقد فقدت كل اراضيها بما في ذلك تلال رامون في

النقـــب .

وصلت لقمة النصر الى الفم كما يقولون ولم يبق أمام العرب الا متابعة الضغط ليدخلوا المدن الاسرائيلية لكن اليهود لجأوا بغتة الى سلاح الغدر أي الغازات السامة ، فشنت الطائرات الاسرائيلية قبل المغيب غارة على الخطوط المصرية وقذفتها بغازات « الموترد » فانتشر الخبر بسرعة بين الجنود ودبت الفوضى في الصفوف . تماما كما حدث في دير ياسين سنة ١٩٤٨ عندما شاع ان اليهود سيذبحون جميع العرب .

حاول الضباط دفع جنودهم الى المعركة للقضاء على العدو الغادر ، الا ان الخوف كان أقوى ، والفرق التي ثبتت في مكانها ، لم تكن كافية لمتابعة الهجوم . هكذا انقضى الليل والجيوش العربية مسمرة في اماكنها بانتظار وصول الكمامات . وهكذا اعطيـــت اسرائيل الفرصة التي كانت بحاجة اليها .

بعد ان زال الخطر عن مدينة نيويورك ، كان أول عمل قامت به الامم المتحدة ، هو جمع شمل الاعضاء ودعوتهم الى اجتماع طارىء لحل قضية الشرق الاوسط ، فاجتمع الاعضاء في الساعة الثالثة بعد الظهر برئاسة مندوب الهند . وكان موضوع الجلسة الحرب الدائرة في الشرق .

بالنسبة الى العرب يمكن القول انهم اضاعوا فرصة العمر كما يقولون للقضاء على اسرائيل وازالتها عن الوجود ، بينما كانت الولايات المتحدة مشلولة الحركة . ان الايام الخمسة ألتي قضاها العرب على الجبهة بدون نتيجة حاسمة ، أخذوا يدفعون ثمنها الان.

كان أول المتحدثين مندوب اسرائيل « تكواه » الذي وقف يتحدى العالم ويقول أن الامم المتحدة تقف مكتوفة اليدين أمام أكبر مجزرة عرفها التاريخ . ان بلدا عضوا في الامم المتحدة معرض للفناء حاليا ، وكل لحظة تمر قبل اتخاذ قرار بأرسال قوة الى الشرق الاوسط ، لحماية اسرائيل تجعل من تقصير الامم المتحدة جريمة لا تغتفر .

ثم طالب بانسحاب القوات العربية الى خطوط ما قبل ٥ حزيران فورا فرد عليه المندوب المصري السيد حسن الزيات قائلا ، ان اسرائيل هي التي بدأت الهجوم واذا كانت الان تدفع ثمن اعتداءاتها فهذا عائد الى أنها

منذ ربع قرن وهي تتحدى العالم . ان شريعة الغاب سيف ذو حدين . ثم طالب الامم المتحدة بادانة اسرائيل لانها استخدمت الغازات السامة المحرمة .

ثم وقف مندوب الولايات المتحدة شارل يوست ، مطالبا بوقف الحرب فورا وبتنفيذ تقسيم فلسطين بموجب قرار الامم المتحـــدة عام ١٩٤٧ الـــذي يقضي باعطاء اسرائيل الحولة وبيسان الى الناصرة ثم الساحل الممتد من عكا الى اسدود مع ممر الى صحراء النقب . ثم أعلن ان الولايات المتحدة مستعدة ان تنفذ المشروع بالقوة اذا لزم الامـــر .

بعد المندوب الاميركي اخرج المندوب البريطاني من الارشيف مشروع التقسيم الذي وضعته اللجنـــة الملكية البريطانية عام ١٩٣٧ والقاضي باعطـــاء اليهود منطقة تمتد من الرملة الى الحـــدود اللبنانية وتشمل الحولة الى مدينة بيسان ، مع ممر دولي الى القدس اما المندوب الروسي الذي نوه بالغدر الاسرائيلي فقد طالب بازالة اسرائيل لانها معتدية على أرض غيرها ، ولانها تعرض العالم للكوارث منذ تأسيسها .

بعد المندوب الروسي اخـــرج المندوب الفرنسي مشروع برنادوت لتقسيم فلسطين الذي وصفه بأنـــه أقرب الى الواقع من المشاريع الاخرى .

أما مندوب سوريا فقد طالب الامم المتحدة بعدم التدخل في النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، قائلا ان سوريا لن تتنازل عن شبر من الارض التي احتلتها ، تماما كما قالت اسرائيل عندما احتلت الجولان سنة ١٩٦٧ وأعلنت انها لن تتخلى عنه .

ورفع الرئيس الهندي الجلسة للاستراحة في الساعة الثامنة مساء على آن تستأنف الجلسة بعد منتصف الليل . فخرج المندوبون من القاعة الكبيرة ليجتمعوا في حلقات صغيرة .

كان منظر تل ابيب يذكر بالافلام التي شاهدناها بعد الحرب العالمية الثانية : انقـــاض تملأ الشوارع ، مشردون يبحثون عن مأوى او ملجأ يصد عنهم الغارات الجوية وقذف المدفعية . جنود بأسلحتهم الكاملة يندفعون نحو الجبهة . حرائق في كل زاوية . لقد تجمع في المثلث حيفا ــ يافا ــ تل ابيب معظم سكان اسرائيل ، تاركين مستعمراتهم حيال التقدم العربي السريع . اجتمع موشي دايان مع اركانه في الملجأ في تل ابيب نفسها ، بعد أن أصبح الملجأ الاول في ضواحي المدينة عرضة للخطر . كان الاجتماع حربيا وقد ضم جميع قواد الجبهة .

بدأ موشي الحديث قائلا :

ــ صح ما توقعته وتوقف العرب في اللحظـــة الاخيرة ، ولو اكملوا هجومهم في الليل ، لكانوا يجلسون مكاننا . اذ انه لم يبق لدينا سوى مطارين لاستقبال الطائرات التي تنقل الجنود والذخيرة ، كما ان اسطولنا الجوي لم يعد يتضمن سوى ١٢٥ طائرة صالحة للقتال . المهم الان هو تنفيذ خطة « عقرب » التي تقضي بالهجوم المعاكس على الجبهة المصرية وحدها وتدميرها ، ثم نرتد على بقية الجبهات ونستعيد الارض قبل ان يصدر قرار مجلس الامن بوقف القتال . وقد اوعزت الى مندوبنا في الامم المتحدة بأن يطيل الكلام على قدر الامكان ، كي يتيح

لنا كسب أكبر مساحة من الارض حتى نتمكن من المفاوضة فيما بعد ونحن محافظون على حدودنا . لقد وعدني الرئيس نكسون بأن يستعمل المندوب الاميركي حق الفيتو في حال اتخاذ قرار يلحق بنا غبنا . كل ما نريده الان هو كسب يوم واحد فقط ، لتصلنا الامدادات البحرية وبعدها لن نتوقف الا في القاهرة . خطة « العقرب » ضرورية لانقاذ المدن الاسرائيلية التي تختنق بالمهاجرين . وقد انتشرت الاوبئة ، رغم الاوامر الصادرة بحرق الجثث . الساعة الان الواحدة صباحا وعلينا ان نبدأ هجومنا في الثالثة أي بعد ساعتين .

وقال رئيس الاركان الجنرال بارليف وهو يشرح على الخارطة مواقع الجنود والفرق ، وصلنا الى الان مئة وخمسون الف جندي ولا نقدر ان ننتظر قدوم الجنود الاخرين لنهاجم . لقد جندنا كل من يستطيع حمل السلاح في اسرائيل واستطيع ان اقول لكم ان لدينا اكبر قوة ضاربة تحارب على جبهة ضيقة مثل جبهتنا . الخطة التي وضعتها قيادتنا تقضي بأن نخترق صفوف الاردنيين — العراقيين الى رام‌الله ، ثم نلتف حول الجبهة المصرية فنضرب الرملة من خلف بينما يتجه خط هجومنا الثاني بموازاة الشاطىء الى النبي يونس ثم يرتد ليطبق على الرملة أيضا حيث توجد القيادة المصرية والمدرعات . بعد هذه الضربة تتوزع قواتنا على شكل مشط لتدمير القوات المصرية وتلحق بها نحو بئر السبع وايلات اذا امكن . الاوامر هي : قتل كل عربي ولو القى سلاحه ، لان الحرب الصاعقة تقضي بالتنقل السريع والضرب الخاطف . غدا اي اليوم علينا أن نكون عند الظهر في مواجهة الجبهة السورية ، لان قرار مجلس الامن سيصدر في الرابعة بعد الظهر فترفضه سوريا بدون شك كما عودتنا دوما ، فتعطينا فرصة متابعة القتال وتوسيع رقعة اسرائيل .

في مكان ما من البقاع قرب الهرمل

كان الفـــدائيون منهمكين بالعمل تحـــت الانوار الكاشفة على تركيز القنبلة الهيدروجينية الطويلة تحت بطن طائرة السوخوي الجاثمة داخل المغارة الكبيرة التي حولها الفدائيون الى حظيرة للطائرات . كان العمل يجرى ببطء وحذر ، ورغم الحر الذي بلل اجساد ابطال فتح ، لم يكن احدهم متذمرا من شيء أو يقول كلمة غير ضرورية. لقد اختارتهم القيادة من خيرة الشباب الفلسطينيين منذ سنة ١٩٦٨ ودربتهم على الاعمال الشاقة . وقد اقسموا جميعهم على الموت بدون تردد او اعتراض تنفيذا للاوامر التي يتلقونها . وقد نذروا حياتهم للوطن فهانت عليهم التضحية .

بعد ان استقرت قنابل طائرة « ب ٥٢ » التي خطفها الفدائيون قبل ٦ اشهر قرب جزيرة صقلية على يخت المليونير اللبناني خليل ، اتجه اليخت بأقصى سرعته نحو طرابلس ، فأفرغ حمولته قبل وصوله الى الشاطىء على بعد ميلين في زوارق صغيرة اتجهت الى الساحل اللبناني في الليل . حملت القنابل على ظهور الجمال وسار بها الفدائيون بعيدين عن الطرقات قاطعين سهل عكار والجبال الى ان وصلوا الى قاعدتهم « فلسطين واحد » في جرود الهرمل . هذه القاعدة لم يكن يدري بوجودها سوى عدد قليل من اعضاء مجلس قيـــادة

الجبهة . فهي تضم نخبة الشباب الفلسطيني المثقف الذي يعمل في سبيل القضية تحت اشراف العلامة فايز د. المتخصص في أكبر المعاهد الذرية في الولايات المتحدة .

كان ياسر عرفات يهدف من جمع الادمغة العلمية الفلسطينية في مختبر كبير مجهز بأحدث ما توصل اليه العلم الحديث من اجهزة الكترونية وذرية ، كان يهدف الى تحضير الجيل الفلسطيني للقرن الحادي والعشرين . كان العلماء العرب يطورون سلاحا جديداً لامستقبل الا ان هذا السلاح تأخر انجازه بسبب اضطرارهم الى شراء الاجهزة من الخارج دون لفت النظر اليهم . لهذا قرر ياسر عرفات عملية خطف الطائرة الاميركية واستعجال الامور لتحرير فلسطين ، قبل مرور ٢٥ عاما على فقدانها .

بعد أن وصلت القنابل الهيدروجينية الى قاعدة « فلسطين واحد » في الهرمل ، صنع العلماء قنبلة فارغة تشبه القنابل الحقيقية ، وارسلوها الى الولايات المتحدة ، وقد نفذت خطة الرعب بحذافيرها . والذي لم يكن منتظرا هو ان يخسر العرب الحرب من جديد . لهذا كان على مجلس قيادة المنظمات الفلسطينية اتخاذ قرار في الليلة نفسها التي يشعر بها الفلسطينيون انهم سوف يعودون الى التشرد من جديد . فكان ان اجتمع ياسر عرفات برفاقه في احدى مغاور جبل الشيخ . واتخذوا قرارا بعملية « جهنم » .

بعد ان دخل ياسر عرفات مع الرئيس عبد الناصر الى مكتب الرئيس العربي بعد الهجوم الاسرائيلي الثاني على المطارات . فتح عبد الناصر له قلبه واخبره ان الحالة غير مرضية ، وان التعاون بين الجبهات ليس على ما يرام ، فكل واحد يشعر عند اقتراب النصر بأن من حقه وضع اكليل الغار دون الاخرين . ثم عاتبه على جره الى المعركة ، وطلب منه تنفيذ خطة ٥ حزيران القاضية بتفجير القنابل الهيدروجينية في المدن الاميركية ، لان الولايات المتحدة لم تحترم وعدها بعدم اعطاء اسرائيل السلاح . فقال له ياسر عرفات بعد ان اشعل سيجارته :

— ليس هناك قنابل ذرية في الولايات المتحدة ، ان العملية كانت عملية بلف كبير ، اعطتنا فرصة ذهبية ، لم نعرف الاستفادة منها . ان القنابل موجودة في البلاد العربية وسوف تستعمل عندما ييأس العرب من النصر نهائيا .

ثم روى لعبد الناصر قصة خطف الطائرة والاحداث التي رافقتها ، وطلب منه في النهاية ان يعطيه ٣ طائرات سوخوي ، لتكون جاهزة لنقل القنابل الى ساحة المعركة .

وافق عبد الناصر على الخطة وارسل ٣ طائرات الى لبنان ، حطت في المدرج السري الذي يمتد من القاعدة « فلسطين واحد » الى مسافة ٣ كيلومترات . وكان هذا المدرج الخفي يمر وسط قرية بيوتها من الكرتون وحرجها من الاشجار الاصطناعية .

كانت الساعة تشير الى الثانية والنصف صباحا من ليلة ١٠ حزيران ١٩٧٣ . عندما طلب النقيب محمود سالم كوب ماء قبل الصعود الى طائرته ليقوم بآخر رحلة . بعد ان ارتوى سلم الملازم مفيد رسالتين واحدة الى اهله والاخرى الى ياسر عرفات وصعد الى طائرته بدون كلام . كذلك فعل كل من الملازم سعيد سعدون والملازم أحمد جاسم . ثم ضغط قائد قاعدة « فلسطين واحد » على زر كهربائي ، فانشق الجبل أمام الطائرات الثلاث كما أزيحت الحواجز عن المدرج . فاندفعت الطائرات كالشهب في الليل ، تحمل الدمار والموت في بطونها الى الذين ادخلوا الموت والدمار الى البلاد العربية .

اتجهت المقاتلات الثلاث نحو البحر الابيض المتوسط ، قبل ان تقوم بدورة طويلة تعود بعدها الى الشرق ضمن قافلة من الطائرات المدنية التي تحمل الجنود والمؤن والذخيرة الى اسرائيل . تفرقت الطائرات بعد ابتعادها عن الشاطىء وسارت ضمن مجموعة الطائرات المتجهة نحو المدن الاسرائيلية الثلاث .

كان الجنرال رابين جالسا داخل دبابته ينظر الى ساعته الفوسفورية تقترب عقاربها من الثالثة ليعطي أوامره الى فيلق المدرعات بالتقدم ، كذلك كان يفعل حاييم

بارليف وسائر قواد الوحدات الاسرائيلية . ان ساعة الصفر بالنسبة اليهم كانت تقترب ، كذلك بالنسبة الى الفدائيين الثلاثة الذين لاحت لهم المدن الاسرائيلية حيفا يافا وتل ابيب في الافق تضيئها الحرائق .

كانت الاوامر تقضي بأن تقذف القنابل على علو عشرة الاف قدم لتنفجر في وسط المدينة فتعطي الطيارين فرصة للهرب بطائراتهم الا ان الخوف من أن يخطئوا الهدف ، جعلهم يفضلون الموت مع اعدائهم . وبدون ان يتشاوروا وجه الفدائيون الثلاثة طائراتهم المحملة بالقنابل الهيدروجينية نحو المدن الثلاث وفتحوا الراديو على مصراعيه ، واخذوا يصرخون بأعلى اصواتهم :

« لبيك فلسطين لبيك ، الموت لاعداء العروبة الموت لاعداء الله والحياة لفلسطين الخالدة » .

ومع كلمة الخالدة حصلت ثلاثة انفجارات فأضاءت فلسطين كلها وتحول الليل الى نهار ، كما تحول الحديد والفولاذ الى سائل يروي الارض المقدسة وقد تبخرت أحلام اسرائيل باقامة وطن قومي لها على أرض عربية . لقد أعطت الولايات المتحدة الحياة لاسرائيل واعطتها الموت في آن معا . ولو أدرك القواد اليهود لماذا كانت القوات العربية تترك الجبهة بسرعة قبل ساعة من بدء الهجوم الاسرائيلي ، لتنبهوا للخطر . الا أن الامل بالنصر كان قد أعماهم ، فظنوا ان العرب هربوا خوفا منهم .

بيروت في ١٠ حزيران أشرا مستعجل .
انفجار هائل في الجنوب ، مصدره الجبهة ... ثمة من يعتقد انه انفجار ذري .

عمان ١٠ حزيران رويتر مستعجل .
٣ أعمدة من الدخان تشاهد من عمان باتجاه الجبهة . الدهشة تربط ألسنة الجميع . الاتصالات مقطوعة مع الجبهة . الخوف باد على الوجوه . قال لنا مصدر عسكري انه يرجح استعمال اسرائيل السلاح الذري في هجومها الاخير . يتبع .

القاهرة ١٠ حزيران تاس مستعجل .
صرح مصدر عسكري بان انفجارا ذريا كبيرا حصل في تمام الساعة الثالثة صباحا ، لم يقدر بعد عدد الضحايا ، الا ان الانفجار كان مصدره تل ابيب ويافا .

دمشق : أشرا . أعلن ناطق عسكري هنا ان حيفا وتل أبيب ويافا قد أزيلت عن الوجود بفعل انفجار ذري لم تعرف بعد مصادره .

واشنطن : ١٠ حزيران رويتر مستعجل :
تم الاتصال الهاتفي بموسكو للاستفسار عما اذا كان لروسيا يد في الانفجار الذري الذي دمر اسرائيل . فنفت روسيا ان تكون قد سلمت للعرب أي سلاح ذري . وقد اتهمت الصين الشعبية بان لها يدا في ذلك .

باريس. ١٠ حزيران أ. اف. بي. مستعجل .

المؤيدون لاسرائيل احتلوا الشوارع وهم يحملون لافتات تطالب باستعمال السلاح الذري ضد العرب . الحكومة الفرنسية تجتمع الان في قصر الاليزيه برئاسة السيد بومبيدو . لقد تأكد خبر ضرب المدن الاسرائيلية بالقنابل الهيدروجينية . جميع المخابرات مع الشرق مقطوعة . سنوافيكم بالاخبار التي يرسلها مندوبنا في بيروت .

بعد هذه البرقيات المستعجلة ، اذاع راديو أوروبا رقم ١ ، رسالة من مندوبه في لبنان السيد ريمون دواليبي جاء فيها :

الحكومات العربية اصابتها الدهشة حيال هذا الانفجار المفاجىء ، والاتصالات قائمة بين العواصم العربية للوقوف على مزيد من التفاصيل . نزل الشعب الى شوارع العاصمة يهتف للرئيس عبد الناصر ، بينما احتل فريق كبير من أثرياء لبنان مكاتب شركات الطيران طالبين تذاكر سفر . الاشاعات تملأ الاندية عن احتمال ردة فعل ذرية من قبل اميركا تستهدف العواصم العربية. الذين لم يتمكنوا من ركوب الطائرة يزحفون الان نحو الجبال للاحتماء فيها . بيروت تحت رحمة رجل الشارع الذي لم تعد السلطة تسيطر عليه . انه يحطم كل لوحة تحمل اسما اجنبيا ، كما ان عمليات السطو والنهب انتشرت في شارع الحمراء . ساوافيكم بتفاصيل أخرى فيما بعد ..

بعدها أخذت الوكالات العالمية التي لها مندوبون في العالم العربي ترسل التفاصيل عن الخسائر التي احدثتها الانفجارات الذرية وعن مقتل أكثر من مليوني شخص دفعة واحدة . أغاب الصفوف الامامية العربية فنيت عن بكرة أبيها .

أصدرت جريدة لوموند الفرنسية ملحقا خاصا عند الظهر عن اسرائيل منذ نشوئها حتى زوالها ، واوردت أهم الاحداث التي مرت بها من اجتماع بال وفكرة هرتزل بتأسيس الدولة الصهيونية ، الى اختيار فلسطين كأرض للميعاد ، ووعد بلفور والاحتـــلال الانكليزي وتقسيم فلسطين ، ثم اعلان الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ الى اخره . نفد هذا العدد الممتاز بسرعة لقيمته التاريخية . وقد كتب المعلق السياسي اريك رولو مقالا افتتاحيا ، ناشد فيه العالم الحر تحكيم عقله وعدم اللجوء الى الحرب الذرية ، لان فناء البشرية وارد في كل لحظة .

أما الفيغارو ، فقد نشرت على ٨ أعمدة تطالب بتطبيق المثل القائل : السن بالسن والعين بالعين . مع صورة الرئيس عبد الناصر ممسكا يد هتلر وهو يقول له :

ــ لا تخف سوف اكمل رسالتك .

كما كتب المعلق اليهودي ايف كو ، مقالا من نار ضد العرب مطالبا بمحو البلاد العربية عن الوجود ووصف العرب بانهم شعب بربري لم يتورع عن افناء مليوني يهودي .

ونشرت مجلة باري ماتش ، أول صور ملونة عن بقايا المدن الاسرائيلية مأخوذة من الجو وعن المستعمرات الاسرائيلية قبل وبعد مرور العرب وكتب معلقها السياسي ريمون كارتيه تحقيقا تحدث فيه عن موقف الدول الغربية

والاشتراكية بعد زوال اسرائيل وخلص الى القول : ان دمار اسرائيل هو بداية دمار البشرية ، لان التسامح عن مثل هذه الجريمة من قبل دول العالم معناه ان البشرية باتت ولا قلب لها .

ونشرت جريدة الهيرالد تريبيون مقالا للمؤرخ البريطاني توينبي ، تحدث فيه عن الكوارث العالمية منذ حريق روما معلنا ، ان البلد التي تولد على النار لا بد ان تموت بالنار . ثم انتقل الى سرد تاريخ الامة العربية التي تعرضت لاكثر من غزو غربي وشرقي ، وكيف خرج العرب بالنتيجة منتصرين لانهم خير امة اخرجت للناس .

اما جريدة « ذي تيمس » اللندنية ، فقد تحدثت عن المصالح الانكليزية في الشرق ، وكيف انه ينبغي لبريطانيا ان تقدم المعونة الى بقايا اليهود في فلسطين ، بترحيلهم واسكانهم في اوستراليا ثم تحدثت عن مشروع للورد طمسون لحل القضية الفلسطينية يرد فلسطين الى أهلها العرب .

اما مجلة « النيوز ويك » ، فقد جاء غلافها الملون صورة لتل ابيب قبل الدمار وبعده ، وسرد كاتب المقال، جميع الحوادث التي تعاقبت منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، وتساءل في النهاية : من اين حصل العرب على القنابل الهيدروجينية ، ما دامت روسيا تنكر اعطاء العرب القنابل والصين لم تتحدث عن مساعدتها للعرب ولم يبق سوى فرنسا أو بريطانيا أو الولايات المتحدة . وطالبت المجلة بفتح تحقيق .

وكانت مجلة « لايف » الاميركية أول صحيفة كشفت سر الغارة ، فقد تمكن مندوبها في لبنان من الاتصال بالسيد ياسر عرفات الذي قال له : ان الفدائيين هم الذين قاموا بالغارة الذرية ، بعد ان يئسوا من العدل الاميركي والغربي .

برغم مرور اسبوع على القاء القنابل الهيدروجينية على مدن اسرائيل والت الصحف العالمية اهتمامهـــا بالحادث . وكل صحيفة تحاول ان تحدد مسؤولية كل دولة في فناء اسرائيل . وقد نشرت « التايم » الاميركية تقريرا مرفوعا الى الرئيس نكسون من قبـــل رئيس الاف. بي. اي . عن وجود قنبلة هيدروجينية في حوزة « القوة السوداء » . فكان هذا التقرير الشرارة التي اشعلت الفتيل على سياسة الرئيس نكسون محملة اياه وحده مسؤولية كارثة تدمير اسرائيل ، فلو أعلم الشعب ان بلاده غير معرضة للخطر كما ادعى ، لكانت الولايات المتحدة قد ساعدت اسرائيل ودافعت عنها . ولما كانت الولايات المتحدة قد قبلت بأن تسلخ منهـــا الولايـــات الخمس . لهذا يجب ان يحاكم الرئيس نكسون . لم تتوقف الصحافة ولا الاذاعات ولا التلفزيونات الخاصة عن مهاجمة الرئيس الا عندما كلف الكونغرس لجنـــة برئاسة السناتور وليم فولبرايت ، درس القضية وتأليف محكمة عليا ، لمحاكمة نكسون بتهمة التواطؤ مع العدو والخيانة العظمى . عبثا حاول مستشار الرئيس نكسون اليهودي هنري سالنجر الدفاع عن رئيسه ، بأبراز الوثيقة التي وقعها السفير الاسرائيلي عندما باعـــت الولايات المتحدة اسرائيل مئتي طائرة فانتوم قبل اعلان حياد الولايات المتحدة . الا ان الراي العام كان ضد الرئيس ولم يبق أمـــام نكسون سوى مواجهة المحكمة .

ففضل الانتحار ، باطلاق النار على نفسه في مكتبه في البيت الابيض . دافعا بذلك ثمن تحيزه لاسرائيل منذ سنة ١٩٦٩ .

الا ان الغضب اليهودي العالمي لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد طالبوا باقالة جميع رؤساء العالم الغربي الذين تقاعسوا عن نجدة اسرائيل . ففضل جـورج بومبيدو اعلان عدم ترشيحه ، كما ان الحكومة العمالية في لندن دفعت ثمن غلطتها بسقوطها في الانتخابات ليعود حزب المحـافظين الى ١٠ دوننغ ستريت . حتى ايطاليا التي ساعدت اسرائيل بنجدتها بالطائرات وصلت الموسى الى ذقن حكامها .

في المانيا الغربية اطلق يهودي متحمس النار على المستشار كيسنجر ، ولم يهدأ العالم الغربي الا بعـد النداء الذي وجهه البابا الى العالم ، طالبا العودة الى الكنيسة والايمان ، مذكرا بقول السيد المسيح : من ضربك على خدك الايمن حول له الايسر . وان مجابهة القوة بالقوة هو عمل طائش . وان الحملة الصليبية في القرن العشرين ، التي تنادي بها فرنسا ، عملية جنون وانتحار . طبعا راحت الصحف الصهيونية تهاجم البابا الا ان هذا النداء كان له ردة فعل حسنة ، وعاد الغرب يفكر بعقله لا بقلبه ، وقد سارعت الدول الغربية الى مد اليد الـى العرب بدافـع من الحرص عـلى مصالحها التجارية .

بعد تفجير القنابل الثلاث فوق المدن الاسرائيلية ، عم الاشعاع الذري المنطقة كلها ، وما نجا أي شخص ضمن مساحة قطرها مئة كيلو متر أي بكـــلام اوضح تضي على العدو وعلى قسم كبير من الجيوش العربية الموجودة في فلسطين برغم الاوامر المتأخرة التي وصلت الى الجبهة بضرورة الانسحاب السريع . . ولم يبق في فلسطين كلها سوى منطقة ايلات في النقب والدولة في الشمال ومن نجا من الموت هجر الديار المقدسة واعلنت المنطقة كلها ارضا محرمة لمدة عشرين سنة على الاقل.

وقف ابو عمار على مرتفعات جبل الشيخ ينظر الى بلده المحترق الذي لم يطهره من الدنس الاسرائيلي سوى النار . واخرج من جيبه رسائل الطيارين الفدائيين واخذ يقرأها .

« أخي ابو عمار

هذه آخر رحلة لي في الحياة ، لن اعود بعدها ، لان ضميري لن يدعني انام مرتاح البال لانني كنت السبب بقتل اخوان لي ، وهبوا حياتهم للوطن ، لهذا لن انفذ الامر بالقاء القنابل عن علو عشرة الاف قدم ، تضحيتي بحياتي هي أقل شيء يمكن ان اقدمه لبلادي . ان الموت أفضل من التشرد . الذي لا وطن له ليس بالمواطـــن الصالح . كل انسان يجب ان يعرف اين سيدفن . لقد

وضعت ذاتي بتصرف القضية الفلسطينية وأنا اموت الان في سبيل القضية مرتاح البال . غداً يعود اولادنا الى أحياء القدس وعكا ويافا ، يلعبون في حدائقهــا الغناء ويفــاخرون العالم بأنهم فلسطينيون وعــرب .
رجائي الوحيد أيها الاخ الكريم هو ان تظل محافظا على وحدتنا في الغربة الى ان تعود فلسطين الى أهلها . لان شعبا بدون وحدة هو شعب ميت » .

لم تختلف الرسالة الثانية عن الاولى مبنى ومعنى وقد طلب الفدائي الطيار ان لا تدع القدس تدنس مــن جديد ، حتى لا تكون تضحية الملايين من الفلسطينيين قد ذهبت هباء . أما الملازم أحمــد جاسم ، فقد ختــم رسالته ، بتحية كل من يموت في ساحة المعركة في سبيل الوطن والامة العربية الخالدة . وطلب من الاخ أبو عمار الا يتساهل مع الخونة وان يجعل من فلسطين الدولة المثالية في كل شيء ، لان الآلام التي عاناها شعبها قد صهر نفوسهم وطهرها تماما كما تفعل النار بالحديد لتجعل منه فولاذا .

عندما انهى ابو عمار قراءة الرسائل الثلاث ، كانت الشمس تتوارى عن أرض فلسطين الخالية ، وكانت دموع ابي عمار قد بللت الرسائل الثلاث .

الثورة العربية

لم تمض سنتان على انتهاء حرب فلسطين ، حتى بدأت الثورة العربية الجديدة في كل مكان . فقد رفض الجيل الجديد السيطرة الانكلو سكسونية على خيرات البلاد كما انه رفض ان يعيش الاخ بعيدا عن أخيه . وكان لبنان أول من نادى بالوحدة بعد فقدانه نصف الجنوب الذي أصابه الاشعاع الذري . فقامت الثورات الدامية في كل مكان وتوحدت الجزيرة العربية سنة ١٩٨٠ ، وكانت قد سبقتها وحدة البلاد العربية الافريقية سنة ١٩٧٩ ، وعقد مؤتمر قمة في القاهرة ولدى ارفضاضه أعلن مولد الجمهورية العربية المتحدة وهي تمتد من الخليج الى المحيط . لقد ضاعت فلسطين موقتا لكن ضياعها كان الطين الضروري للحم حجارة الامة العربية المبعثرة منذ أكثر من ألف سنة .

للمؤلــف

مفكرة رجل (١٩٦٥) ـــ تاريخ العالم الضاحك (١٩٦٥)
هو وهي (١٩٦٧) ـــ معجم الانتخابــات (١٩٦٨)
المزعجون (١٩٦٨) ـــ الــف ليلة ونص (١٩٦٩) .

قيد التحضير معجم النساء ـــ النجدة يا شباب

١٥٠ ق. ل. أو ما يعادله